البلاغة الغائبة
دراسة فيما لم يُبحَث في مدرسة الخطيب القزويني

د.عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب *

E.mail: banageeb_ab@hotmail.com

* أستاذ البلاغة والنقد المشارك - قسم اللغة العربيّة - الكليّة الجامعيّة بالقنفذة
جامعة أمّ القرى - المملكة العربيّة السعوديّة

البلاغة الغائبة
دراسة فيما لم يُبحَث في مدرسة الخطيب القزويني

د.عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب

الملخص:

حاولت هذه الدراسة أنْ ترصد بعض النواحي البلاغيّة التي غابت دراستها عن الخطيب القزويني ومدرسته، وأنْ تمثّل لها. وجاءت الدراسة في مقدِّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة توضّح أبرز النتائج. اختص المبحث الأوّل بالمستوى الصوتي، والثاني بالمستوى التركيبي، والثالث بمستوى بناء الصورة. وانتهت الدراسة إلى التمثيل لما غاب في المستوى الصوتي: بتكرار الحروف، ونوعٌ آخر من الجناس، وبلاغة المدود، وبلاغة الصيغ. كما انتهت إلى التمثيل لما غاب في المستوى التركيبي: بالفصل والوصل بين المفردات، والفصل والوصل بين الجمل المركّبة، والفصل والوصل بحروف العطف الأخرى غير الواو، والوقف والابتداء، وأساليب الإنشاء غير الطلبي، ووجود جمل أسلوبيّة أخرى لم تُدرس كجملة النفي، والجملة الشرطيّة، وجملة أسلوب الاختصاص، وجملة أسلوب التحذير والإغراء. وفي مستوى بناء الصورة مثّلت لما غاب بصورٍ أخرى خَلَتْ من التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية.

مصطلحات أساسية: وجهة النظر، مَن انتسب إلى أمه، السيمياء، البوح والصمت.

Absent Rhetoric
Studying What is not Studied in Al-Khatib Al-Qhizwini's School

Dr. Abdulla Abdorahman Banqeeb

Abstract:

This study attempts to monitor some rhetorical aspects which Al-Qhizwini and his school ignored and to represent them. The first section discusses the vocal level, the second discusses the structural level and the third studies image-building. The study concludes by representing what is missing at the vocal level by letter repetition, another kind of alliteration and formula eloquence. It found a representation of what is missing at the structural level by separation and connection between vocabulary items, sentences and connectors other than (and), stopping and starting, and the methods of construction other than requests. It finds some stylistic sentences which were not studied such as negation, conditional sentences, jurisdiction style and warning and seduction technique. At the level of image-building, it represents what is missing by other ways free from metaphor, simile and metonymy

Keywords: Absent rhetoric, vocal level, structural level, level of image-building.

مقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد استقرّت البلاغة العربيّة على علوم ثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، وكان تلخيصُ المفتاح للخطيب القزويني (ت739هـ) الكتابَ الذي اكتملت به دائرة هذا الاستقرار، فعلى طريقة هذا الكتاب ومنهجه في العرض والبحث دارت البلاغة العربيّة في صروح العلم، ودوره، ومدارسه، إلى يوم الناس هذا. ولا شك أنّ ما قدّمه هذا الكتاب، وما دار حوله من شروح وأعمال، قد نفع الله به أجيالًا من طلبة هذا العلم، فتذلّلت لهم كثيرٌ من مسائله، وتكشّفت لهم جملٌ من دقائقه.

تناولت مدرسة الخطيب القزويني في أثناء دَرْسها لبلاغة الكلام أشياءَ كثيرة، ولكنّها في المقابل تركت أشياء أخرى لم تعرض لها، وتأتي دراستنا هذه لتبحث عما غابت دراسته عن هذه المدرسة، وكيف أدّى ذلك إلى تَرْك مكوّنات مهمّة في الكلام لها دور في تكوين بلاغته وأدبيّته.

وسلكتْ الدراسة في سبيل رَصْد ما غاب عن مدرسة الخطيب القزويني منهجًا يقومَ على تتبّع ذلك وفقًا لمستويات الكلام، فجاء المبحث الأول مختصًّا بالمستوى الصوتي، والثاني بالمستوى التركيبي، والثالث بمستوى بناء الصورة. واختصاص مدرسة الخطيب القزويني بهذا الرصد؛ لأنّها – كما سبق أنْ بيّنّا – المدرسة الأكثر شيوعًا في الدرس البلاغي التي سيطرت طريقتها على كثير من الأعمال والدراسات.

ولا تزعم هذه الدراسة أنَّها حصرت كلّ ما غابت دراسته عن مدرسة الخطيب القزويني، فليس هذا غايتها، بل غايتها أنْ تنبّه على ذلك الغياب، وأنْ تمثّل له، أملًا في تطوير الدرس البلاغي، واستكمال عمل علمائنا الأوائل، والبناء عليه؛ لأنَّ استقصاء كلّ الغائب عملٌ لا يتوفر عليه بحثٌ واحد، فيجب أنْ تتلوه أبحاثٌ أخرى، يتعاور عليها عددٌ من الباحثين حتى يكتمل رصده.

ويجدر التنبيه إلى أنَّ هذا الغائب عن مدرسة الخطيب القزويني ليس بالضرورة شيئًا جديدًا تشير إليه هذه الدراسة، بل هو في عدد من جوانبه ممّا أشارت إليه جهودٌ بلاغيّةٌ أخرى سابقة على مدرسة الخطيب، أو مزامنة لها، أو تالية، فلم تتضمّنه مباحث مدرسة الخطيب ممَّا جعل أثره غير فاعلٍ بصورةٍ واضحةٍ في الدرس البلاغي.

إنَّ بعض هذا الغائب عن مدرسة الخطيب شقّ طريقه في الوجود، لكنه لم يُنَمَّ، ولم يجد لنفسه سبيلا مطّردًا في حركة الدرس البلاغي مع من أهميّة عدد منه، فتوقف عند نقطة ما، وذهبت إشارة صاحبهً إليه دونما استثمار، وظلَّ ينتظر مَنْ يعيد له دوره في تحليل البيان، والكشف عن سماته.

وكلّ ما تأمله هذه الدراسة أنْ تفتح الباب، وأنْ تبرز القضيّة، وأنْ تجعلها موضع اهتمام، راجيةً بذلك أنْ تتحفّز إليها هِمَمُ الدارسين، فيسهموا في إعطائها ما تستحقه من النظر والبحث، عسى أنْ يؤوب هذا الغائب ليمارس دوره في الحضور تحليلًا وفحصًا.

المبحث الأول: المستوى الصوتي:

أ – تكرار الحرف:

عرضت مدرسة الخطيب لتكرار الكلمة في عدة مباحث كمبحث الإطناب وتحديدًا في أحد أقسامه وهو التكرار، كما عرضت له في بعض مباحث علم البديع: كطباق السلب، والجناس، والعكس والتبديل، وردّ الأعجاز على الصدور، والمشاكلة، والإرصاد أو التسهيم، والمزاوجة، والتفريق، والتقسيم، وغير ذلك من فنون علم البديع.

وعرضت مدرسة الخطيب لتكرار الجملة في بعض أقسام الإطناب كالتكرار، والتذييل، وكذلك عند حديثها عن العكس والتبديل ضمن فنون علم البديع.

وأما تكرار الحرف فلم تعرض له، ولم ينل منها ما يستحقُّ من عناية. فكما أنَّ تكرار الكلمة والجملة

يحمل مزايا صوتيّة تسهم في إيصال الدلالة، فكذلك تكرار الحرف يحمل في طيّه تلك المزايا.

ويتّخذ تكرار الحرف عدة صور[1]؛ منها ما يجيء في الكلمة الواحدة، ويأخذ هذا بدوره عدة صور، كأنْ يأتي الحرف مضعّفًا، ومن أمثلته الجليّة تضعيف الدال في عدد من فواصل آيات سورة مريم:

«**وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا**»[2]

«**وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**»[3]

«**لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**»[4]

ومثاله من الشعر الدالُ في قافية بيت ابن الرومي:

تَوَرُّدُ خَدَّيْهِ يُذكِّرُني الوَرْدَا

وَلَمْ أَرَ أَحْلَى مِنْهُ شَكْلًا وَلَا قَدًّا[5]

ومن صور تكرار الحرف الإتيان بالتكرار دون إدغام، كتكرار الدال في قوله تعالى: «فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا»[6]، وكتكرار اللام في قوله تعالى: «فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا»[7]. ومنه في الشعر الميم في قافية بيت المتنبي:

أَكُلَّمَا رُمْتَ جَيْشًا فَانْثَنَى هَرَبًا

تَصَرَّفَتْ بِكَ فِي آثَارِهِ الهِمَمُ[8]

ويتجاوز الحرف في بعض صور تكراره «ثلاث مرات فيما ضعفت عينه من الثلاثي المضعف أصلًا»[9]، من ذلك تكرار الزاي في قوله تعالى: «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ»[10]، والسين في قوله تعالى: «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ»[11]. ومن الشعر: الدال في قول ابن الرومي:

فَمَهْرِج فِيهِ تَحْتَ ظِلَالِ عَيْشٍ

مُمَدَّدَةٍ عَلَى عَيْشٍ فَضَاءِ[12]

ما مضى من صور تكرار الحرف في الكلمة الواحدة جاء فيه المكرّر متّصلًا، وأما مجيئه منفصلًا فكتكرار النون في قوله تعالى: «كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ»[13]، والصاد في قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»[14]، ولا يخفى ما أسهم به توسُّطُ حرفِ المد بين المكرَّرَين من عذوبة في هذين الشاهدين.

ومن أظهر صور تكرار الحرف في الكلمة الواحدة «ما ورد من المضعّف الرباعي في الفصيح»[15]، وذلك كقوله تعالى: «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ»[16]، وقوله تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ»[17]، ومنه في الشعر قول الفرزدق:

وَقَدْ عَلِمَ الجِيْرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا

ضَوامِنُ لِلأَرْزَاقِ وَالرِّيْحُ زَفْزَفُ[18]

تلك بعض صور تكرار الحرف في الكلمة الواحدة.

ومن صور تكرار الحرف تكراره في الكلام على أبعاد متقاربة، فالحرف إذا تكرّر «في الكلام على أبعاد متقاربة، أكسب تكرار صوته ذلك الكلام إيقاعاً مبهجًا، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين، فضلًا على [كذا] إدراكه السمعي بالأذن»[19].

ومن أمثلته الجليّة تكرار الميم في هذه الآية الكريمة: «قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ»[20]، يقول القلقشندي معلّقًا على اجتماع هذه الميمات: «ألا ترى إلى قوله تعالى...كيف اجتمع فيه ستّ عشرة ميما في آية واحدة، قد تلاصق منها أربع ميمات في موضع، وميمان في موضع، مع ما اشتملت عليه من الطّلاوة والرّونق الذي ليس في قدرة البشر الإتيان بمثله، والله أعلم»[21].

ومثال هذا التكرار في الشعر ترداد صوت الراء والميم والنون في الأبيات التي ساقها الرماني شاهدًا على التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى الخاصة ببلاغة البشر[22]، إذ جعل الطبقة العليا للقرآن الكريم كلّه:

رَمَتْنِيْ وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِيْ وَبَيْنَهَا

عَشِيَّةَ آرَامِ الكِنَاسِ رَمِيْمُ

رَمِيْمُ التِيْ قَالَتْ لِجِيْرَانِ بَيْتِهَا

ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلاَّ يَزَالَ يَهِيْمُ

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِيْ رَمَيْتُهَا

وَلَكِنَّ عَهْدِيْ بِالنِّضَالِ قَدِيْمُ[23]

إنَّ فيما عُرض من صور تكرار الحرف دليلًا على ما لهذا النوع من التكرار من مزايا نغمية كان حريًّا بمدرسة الخطيب أنْ تمدَّ دراستها إليه لتكشف عن أثر هذه المزايا في نفس السامع، وعنما تؤدّيه من قيمة تعبيريّة تسهم في إيصال الغرض إيصالا جماليًّا يتجاوب فيه النغم مع الدلالة.

ب – جناسٌ آخر:

درجتْ مدرسة الخطيب القزويني في دراستها لفن الجناس على ما كان الاتّفاق فيه قائمًا بين الكلمتين في أربعة أشياء: أنواع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها، أو الاختلاف في واحد من هذه الأربعة، مع شريطة أنْ يصحب ذلك اختلافٌ في المعنى بين الكلمتين المتجانستين[24]. ولا شك أنَّ هذه الدرجة من التجانس تمثّل الحدّ الأوفى للجناس، ولكن ترتّب على ذلك أنْ «أخرجوا كثيرًا من الصور التي لا ريب في تجانسها»[25]. إنَّ في الكلام البليغ تجانسًا لم يبلغ الحدَّ الذي نصّت عليه مدرسة الخطيب واستأثر بعنايتها، ولا هو ممّا ألحقته به، ومع ذلك فإنَّ له أثرا في التنغيم لا يخفى، ودورًا في تأدية الغرض المساق له الكلام، وهو جديرٌ بأنْ تمنحه البلاغة ما يستحقّ من التحليل والدراسة.

من أمثلة هذا التجانس في القرآن الكريم قوله تعالى: «وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ»[26]، وقولَه تعالى: «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا»[27]، وقوله تعالى: «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ»[28]. فالمتأمل في هذه الآيات الكريمات يلمح تجانسًا بين (مقطوعة وممنوعة)، وبين (حبًّا وعنبًا وقضبًا)، وبين (الوحوش وحشرت).

وجاء الجناس في الشاهد الأوّل بين (مقطوعة وممنوعة) في سياق بيان الجزاء الذي أعد لأصحاب اليمين عبر وصف الفاكهة الكثيرة بأنّها لا مقطوعة ولا ممنوعة، والمعنى أنَّها «لا مَقْطُوعَة» في وقت من الأوقات كفواكه الدُّنيا «ولا ممنوعة» من مُتناوليها بوجه من الوجوه لا يُحظر عليها كما يُحظر على بساتين الدُّنيا»[29]، وأضفى هذا الجناس على الكلام تطريبًا يتلاءم مع تفصيل تعداد ما ينتظره هؤلاء من نعيم موفور.

وأمَّا آيات سورة «عبس» فجاءت في سياق الشروع في تعداد النعم المتعلقة ببقاء الإنسان بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه[30]، وحقّقتْ المجانسة بين (حبًّا وعنبًا وقَضبًا) تنغيمًا أسهم في تأكيد ما تفضّل به المنعم –سبحانه وتعالى– على الإنسان من نعَم البقاء والعيش، وواضحٌ أنَّ صوت الباء هو العنصر الأبرز في هذه المجانسة، فمنح صوتُه مع التنوين المصاحب له قوَّةً في النغم تلاءمت مع مضمون هذا التأكيد.

وجاءت آية سورة التكوير في سياق بيان أهوال يوم القيامة، والمعنى الذي حوته الآية الكريمة أي: تُجمع الوحوش «ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتصّ من القرناء للجماء ثم يقول لها: كوني ترابا»[31]. والجناس بين (الوحوش وحشرت) بما أضفاه صوتا الحاء والشين في الكلمتين جلّى هذا الجمع المحتشد لتلك الوحوش، وكيف تُساق سَوْقًا للاقتصاص، وردِّ الحقوق، فجاء نغم الجناس متجاوبًا مع دلالة حال هذا الجمع المهيب.

ومن شواهد مدرسة الخطيب القزويني الشعريّة للجناس قول أبي تمَّام:

إِذَا الخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الحَرْبِ صَدَّعُوا

صُدُورَ العَوَالِي فِيْ صُدُورِ الكَتَائِبِ[32]

واستوقفها الجناس بين (صدور العوالي) و(صدور الكتائب) «وهو في التذوّق ليس أبرع من صَدَّعوا صدور»[33].

ومن أمثلة الجناس الذي لم يدخل في نطاق دراسة مدرسة الخطيب قول البحتريّ في السينيّة:

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَهْـ

ـرُ التِمَاسًا مِنْهُ لِتَعْسِي وَنَكْسِي[34]

بين (تعسي) و(نكسي) جناسٌ جلّى نبرة الحزن بما أصاب الشاعر من نكبات وصروف، بدّلت عليه الأحوال، وآلت به إلى ما هو فيه من بؤس العَيش.

ج – بلاغة المدود:

تُضفي حروف المدّ الثلاثة (الألف، والواو، والياء) الساكنة على الكلام تطريبًا ونغمًا حين يحسن استخدامها في التعبير عن الغرض المراد، فتأتي متساوقةً مع رحابة الدال في الإبانة عن هيئات المعاني وصورها. وجاءت هذه المدود على أكمل وجه في القرآن الكريم، وفصّل علماء علوم القرآن وتجويده أنواع هذه المدود وأحكامها، ولا تزال المكتبة العربيّة بحاجة إلى وجود دراسات موسّعة تُعنى ببلاغة هذه المدود وعلاقتها بما أنيطَ بها من دلالات سياقيّة، وفي مدرسة الخطيب لا نلفي عنايةً بها في أيّ مبحثٍ من مباحثها.

وكما يتيح المدُّ للمتكلّم التعبير عن خفقات المعاني فإنَّه «يمكّن القارئ والسامع من الاهتمام بالدلالة، ويثير فيهما الانتباه، ويشير إشارات صوتية إلى مواطن العبر، ومجالات التبشير والإنذار»[35].

إنَّ الناظر في قوله تعالى: «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»[36] يلحَظ أنَّ المدَّين الواقعين في أول الآيَة – اليَاء في (يا حسرة) والألف في (العباد) – يُظهر نغمهما الممتد ما سيحيق به هؤلاء من خيبة، وتحسّر، وندم، حين يشاهدون العذاب يوم القيامة، وذلك جراء استهزائهم بالرسل، وعدم اتّعاظهم بأحوال الأمم التي كانت قبلهم، ومجيء هذين المدين في صدر الآية يشيع منذ البدء شقاء المآل والمصير، ولات ساعة مندم.

وتأمّل المدود في قوله تعالى في سورة الإسراء: «كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا»[37] واقرأهُ قراءةً تجويديةً صحيحةً تستوفي المدّ حقّه، ثمّ أصخ السمع والقلب واستشعر ما يدلُّ عليه هذا المدّ مستعينًا في ذلك بالسياق. وتوضيحًا لهذه المسألة نذكر أنَّ في الآية أربع همزات في صلب الكلمات، وينبغي مدّ الصوت بالحرف الواقع قبل الهمزة مدًّا يتّسع ويزيد مع حروف اللين في (هؤلاء) وفي (عطاء) بما يتيح استعدادًا عضويًّا للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى جهد عضليٍّ خاصٍّ لانتزاعها من أقصى الحنجرة. ويترتّب على هذا انتشار المدّ وتواليه تواليًا ملحوظًا يشعر من كان له قلب وأصاخ السمع باتّساع عطاء الله، وأنَّه لا ينفد مع اتّساع الخلق وكثرتهم مؤمنين وكافرين. يشعر هذا المدّ المنتشر في هذا الخير المحدود بحكمة الله سبحانه في عدم قصر الرزق على المؤمنين، والحكمة في رزق الكافرين مع كفرهم، فالحكمة هي أنه لا يبخل على من يعصيه إلا من كان العطاء يُنقص من ملكه، فإنَّ سعة رحمة الله وملكه واتّساع عطائه وراء عموم الرزق، فضلًا عن أنَّ الدنيا دار عمل لا دار حساب»[38].

وفي قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى»[39] نجد المدّ الذي حوته كلمَة (الطَامَّة) أسهم في تجلية المعنى وإبرازه، والطامّة في اللغة: «الداهية تغلب ما سواها، وطم الإناء طمًّا ملأه حتى علا الكيل أصباره، وجاء السيل فطمَّ ركية آل فلان إذا دفنها وسوّاها»[40]، والمراد بها في الآية: «القيامة أو النفخة الثانية، وقيل: هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى محشرهم، وقيل: التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار»[41]، والوصف بالطامَّة «يؤذن بالشدة والهول إذ لا يقال مثله إلا في الأمور المهولة، ثم بولغ في تشخيص هولها بأنْ وصفت ب الكبرى فكان هذا أصرح الكلمات لتصوير ما يقارن هذه الحادثة من الأهوال»[42]. عزَّز وجود المدّ في كلمة (الطامَّة) تصوير هذه الأهوال، وعَمَّقَ وقعها في النفوس بما أضفاه من طول تناغم مع ما تنامَى من شدائد ذلك اليوم. إنَّ هذه الدلالات «مجتمعةً ما كان لها أنْ تتحقَّق إلّا مع هذا المدّ الذي منح الكلمة جرسًا قويًّا هادرًا يناسب ما تتضمّنه من شدائد وأهوال، عدا عمَّا تؤدّيه من أصوات الكلمة الأخرى: الطاء

الاستعلائيّة المشدّدة، والميم المشدّدة، والتاء المربوطة من دلالات»[43].

ونأخذ مثلًا للمدّ في الشعر مطلع معلقة النابغة:

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ

أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ[44]

يقول محقّق ديوان النابغة محمّد الطاهر بن عاشور في شرحه لألفاظ هذا البيت: «العلياء بفتح العين والمد: رأس الجبل، والسَّنَد: ما علا من سفح الجبل، وعَطْفُ السند بالفاء يفيد أنَّ دار ميّة بالعلياء ومتّصلة بالسند»[45]، فالنابغة يصف دار ميَّة بأنَّه في مكان مرتفع، وهذا يدلّ على أنّ ميَّة في منعة وحفظ يجعل المساس بها ضربًا من المستحيل إذْ «ليسَ المرادُ أنَّ بيوتهم أقيمت في أماكن عالية لا تنال، فإنَّ القوم لا يمتدحون بإقامة بيوتهم في ذرا الجبال، بل إن ذلك أمارة الجبن، وإنمَّا يمتدحون بإقامة البيوت في الثغور والمخاوف....ومراد النابغة أنَّ بيوتهم لقوتهم ومنعتهم لا ينالها الأعداء، وكأنَّ بيوتهم في قمّة جبل، فالكلام مبنيٌّ على التمثيل، وهذا خيال يتردَّد كثيرًا في لغتهم»[46]، ولا شكّ أنَّ المدّ الواقع في نداء الدار (يا) وفي (الدار) وفي كلمة (العلياء) هيّأ لهذا الوصف بالارتفاع الشاهق، وجاء متناغمًا معه ومع ما يحمله من دلالات العزِّ والمنعة للمحبوبة وقومها. ووصْفُ البيوت بالارتفاع واستغلال المدّ في ذلك ليس خاصًّا بهذه القصيدة عند النابغة، بل هو يتردّد في شعره وإنْ اختلفت مقامات استدعاء ذلك، يقول في قصيدة أخرى:

وَحَلَّتْ بُيُوتِي فِي يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ

تَخَالُ بِهِ رَاعِي الحَمُولَةِ طَائِرا[47]

واليفاع هو المكان المرتفع، والنابغة يخاطب بهذا البيت النعمان، ويذكر له بأنَّه لا يهجوه وإن حلّت بيوته في أمنع المواضع وأبعدها عنه بحيث هو آمن[48]، ويُضاف إلى ذلك ما أراد أنْ يبثه النابغة من معاني الإباء والمنعة لنفسه، ويظهر هذا في إضافة «بيوت القوم كلها إلى نفسه، إضافة تدفئة بالأمن والقرار»[49]، وتَعزَّزَ ذلك عبر وصفها بالارتفاع المُمنّع، وأبرز المدّ الذي حوته كلمة (يفاع) دلالات هذا الارتفاع الذي «يشير إلى الشموخ، والارتفاع، والامتداد، الذي يرتفع مع هذه الألف حتى يكاد يصل إلى عنان السماء، واسمع قوله (مُمنّع) وتأمّل هذه النون المشدّدة، ثم هذا التنوين، وكيف يساعد ذلك على التطريب والتغنّي، وإطلاق النغم الذي يجيش في ضمير الشاعر، حتى تنتشي نفسه بهذه المنعة، وهذا الاعتزاز، وتأمل هذا الاحتباس المشعر بالمنعة والذي يكمن في النون الساكنة في قوله (مُمنّع)»[50].

هذا ما كان من شأن الشطر الأول من مطلع معلّقة النابغة، وأمَّا الشطر الثاني فقوله: أقوت : أي خلت من الناس وأقفرت، والسالف: الماضي، والأبد: الدهر[51]، ومعنى ذلك أنَّه مضى على الرحيل من هذه الديار زمنٌ طويل، فخلت من قاطنيها، ويُلحَظ أنَّ المدَّ في كلمتي: (طال) و(سالف) أسهم في مطل هذا الزمن الممتد، وألقى بظلاله على طول عهد الدار بأهلها، فتشعر في أثناء القراءة بأنغام هذا الطول في بعد ذلك الزمن الذي ارتحل فيه أصحاب تلك الدار.

يتّضح من خلال هذه الشواهد أثر المدود في التعبير عن المعاني المناطة بالكلام، وأنَّها جزء مهمٌّ من نسيج تَشكُّل دلالاته، ولكنه مع ذلك لم يجد من مدرسة الخطيب عنايةً تُبرز بلاغته، وتجلّي هذا الدور الذي يؤدّيه في التعبير.

د – بلاغة الصيغ:

خلتْ عناية مدرسة الخطيب القزويني من الصيغ وأثرها في بلاغة الكلام إلا ما كان من إشارة في باب أحوال المسند إلى الأغراض الناجمة عن كونِ المسند فعلًا أو اسمًا، وما يتبع ذلك من فروق من كون الفعل يفيد التجدد، والاسم يفيد الثبوت.

وعدا ذلك فإنَّ مدرسة الخطيب القزويني لا تتوقّف أمام دور الصيغة في بلاغة الكلام، ولا تشير إلى الفروق الدلاليّة بين صيغة وأخرى وأثر ذلك في التعبير عن الأغراض والمعاني، ومدى ملاءمة الصيغة للسياق والمقام الواردة فيه.

وحتى فيما توقّفت أمامه مدرسة الخطيب القزويني من فروق بين الاسم والفعل لا تتوسّع إشارتها فيه إلى ما «يتفرّع على الاسم والفعل من صيغ كثيرة عديدة كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المرّة واسم الهيئة وصيغ الإفراد والجمع، فضلًا عمّا للفعل من صيغ كثيرة عديدة تؤدي دورًا كبيرًا في تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي جعله البلاغيون معيارًا للبلاغة»[52].

إنَّ الربط بين معاني أبنية الصيغ والسياق الواردة فيه لهو من صميم البحث البلاغي الذي ينبغي أنْ ينال ما هو جديرٌ به من البحث والتحليل، ويتمُّ ذلك عبر مدّ ما قدّمه علماء الصرف من إسهام في بيان هيئات الصيغ إلى محاولة ربط المعاني النّاتجة عن تلك الهيئات بما يتطلّبه المقام، فالمقام هو الذي يستدعي صيغةً دون أخرى، لما تحمله تلك الصيغة من دلالاتٍ خاصةٍ أدّت إلى اختيارها لذلك المقام.

فأبنية الكلمات لا تتساوى دلالاتها وإنْ جمع بعضَها معنًى عامّ، ولذا وجب علينا أنْ نميّز مثلًا «بين نشيط ونَشِط، وعسير وعَسِر، وأحمق وحَمِق، وأجرب وجرِب، وصديان وصد، وعطشان وعطِش، وغيرها كثيرَ في الصفة المشبّهة»[53]، كما علينَا أنْ نميّز «بين مفعول وفعيل وفعيلة في اسم المفعول»[54]، وذلك لنعرف الفرق «بين مقتول وقتيل مثلًا، وذبيح وذبيحة»[55].

وأنْ نعرف الفروق الدلالية بين صيغ المصادر وأثر ذلك في السياق، وكذلك الفرق بين التعبير بالمصدر الميمي والمصادر الأخرى، إلى غير ذلك ممّا يتيحه مجال البحث في دلالات مباني الصيغ وعلاقتها بما تردُهُ من مقامات، ولعلَّ فيما ذكرنا من صيغ تمثيلًا يغَني عن تعداد غيرها.

وإذا كان بعض النحاة حاول أنْ يقدّم تحليلًا لدلالات عدد من الصيغ فإنَّ على البحث البلاغي أنْ يستثمر ذلكً، وأنْ يضيف إليه ما من شأنه أنْ يضيء تحليل البيان، ويكشف عن دقائقه البلاغية. فالتعبير بصيغة ما هو إلّا اختيارٌ بين عدة خيارات ينتقيه البليغ لاعتقاده بأنَّ هذه الصيغة هي الأقدر على أداء المعنى الذي يروم.

ولا يتوقّف الأمر على تعدّد الصيغ، بل إنَّ الصيغة الواحدة تدل على عدة معانٍ، فأيُّ معنًى أراد البليغ من تلك المعاني التي ازدحمت بها بعض الصيغ، فلصيغة (فعّل) مثلا معانٍ كثيرة أنهاها صاحب كتاب (أوزان الفعل ومعانيها)ً[56] إلى «الواحد والستين متتبّعًا ما ذكره الصرفيون واللغويون، وركيزته الأولى من هؤلاء لسان العرب»[57].

ولتقديم تمثيلٍ على أهمية الصيغة وما تطويه من دلالات، سنتوقفً أمام صيغة «اسم الفاعل». وسبق أنْ ذكرنا بأنَّ مدرسة الخطيب أشارت إلى أنَّ الاسم عمومًا يفيد الثبوت، ولكنَّ هذا الثبوت الذي يفيده الاسم بحاجة إلى بيانٍ وتفصيل، إذْ تختلف درجته من صيغة إلى أخرى، فليست دلالة الثبوت التي تفيدها الأسماء واحدة، بل تتباين مستوياتها من مبنًى اسميٍّ إلى آخر. وأدلُّ مثالٍ على ذلك «اسم الفاعل».

يجمع اسم الفاعل «بين سمات كلٍّ من الاسم والفعل معًا»[58]، ولذلك صار مشتركًا «بين الدلالة على الثبوت من جهة النظر إليه اسمًا في مقابل الفعل الدال على التجدّد»[59]، وبين الدلالة على الحدوث والتجدد إذا ما نظرنا إليه «من جهة ما يتضمّنه من الفعلية وجريانه مجرى الفعل خاصةً إذا ما قورن بدلالة الصفة المشبّهة التي تدلّ على الثبات واللزوم أكثر منه وبصورة صارمة لا اختلاف فيها»[60].

فاسم الفاعل يقع «وسطًا بين الفعل والصفة المشبهة، فالفعل يدلّ على التجدّد والحدوث، فإن كان ماضيا دلّ على أنَّ حدثه تم في الماضي، وإنْ كان حالًا أو استقبالًا دلّ على ذلك، أمَّا اسم الفاعل فهو أدومُ من الفعل وأثبتُ من الفعل لكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبّهة، فإنَّ كلمة (قائم) أدوم وأثبت من قام أو يقوم ولكن ليس ثبوتها مثل ثبوت (طويل) أو (دميم) أو (قصير) فإنَّه يمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس أو غيره، ولكن لا يمكن الانفكاك عن الطول أو الدمامة أو القصر»[61].

ومن أمثلة اسم الفاعل[62] قوله تعالى: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ» [63] يقول الزمخشري معلّقًا على سبب إيثار التعبير القرآني صيغة اسم الفاعل (ضائق) وعدوله عن (ضيّق): « فإن قلت: لم عدل عن ضيّق إلى ضائق؟ قلت: ليدلّ على أنه ضيق عارض غير ثابت؛ لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان أفسح الناس صدرًا. ومثله قولك: زيد سيد وجواد، تريد السيادة والجواد الثابتين المستقرّين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد»[64].

وتابع الألوسي هذا التفسير للعدول إلى صيغة اسم الفاعل (ضائق) فقال: «وعدل عن ضيق الصفة المشبهة إلى- ضائق- اسم الفاعل ليدلّ على أنَّ الضيق ممّا يعرض له صلّى الله عليه وسلم أحيانًا، وكذا كلّ صفة مشبهة إذا قصد بها الحدوث تحول إلى فاعل فتقول في سيد وجواد وسمين مثلا: سائد وجائد وسامن»[65].

وهو ما أكّده أيضًا محمّد الطاهر بن عاشور بقوله: «وضائق: اسم فاعل من ضاق. وإنما عدل عن أن يقال (ضيّق) هنا إلى ضائق لمراعاة النظير مع قوله: (تارك) لأنَّ ذلك أحسن فصاحة. ولأنَّ (ضائق) لا دلالة فيه على تمكّن وصف الضيق من صدره بخلاف ضيّق، إذ هو صفة مشبهة وهي دالّة على تمكّن الوصف من الموصوف، إيماء إلى أنَّ أقصى ما يتوهّم توقّعه في جانبه صلى الله عليه وسلم هو ضَيْق قليل يعرض له.»[66].

ومن هنا يتّضح أنَّ دلالة الثبوت في الأسماء ليست على درجة واحدة، فهي تختلف من صيغة إلى أخرى كما لحظنا ذلك في اسم الفاعل والصفة المشبّهة. وهذا يؤكّد أهميّة مراعاة دلالات الصيغ في أثناء التحليل البلاغي؛ لأنها عنصر من عناصر مكوّنات الكلام لا يجب إغفاله، وعلى البحث البلاغي أنْ يوليه ما يستحقُّ من الدرس، والنظر، والكشف عن دوره في السياق بما يجعل الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

المبحث الثاني: المستوى التركيبي:

أ – الفصل والوصل:

الفصل والوصل بين المفردات:

اقتصرت دراسة الخطيب القزويني ومدرسته لباب الفصل والوصل على الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب، وأما المفردات والجمل التي لها محلٌّ من الإعراب الواقعة موقع المفرد فإنها لم تحظ بعناية من الخطيب ومدرسته، وقد أشار إلى ذلك أحدُ شرَّاح التلخيص وهو بهاء الدين السبكي (ت763هـ) بقوله: «أمَّا المفردات فلم يتعرّضوا لها في ذلك، والظاهر أنَّهم تركوا ذلك لأنَّه في الغالب واضح، أو لأنَّه يعلم حكمه من الجملتين»[67].

والجدير بالذكر أنَّ ترك العناية بالفصل والوصل بين المفردات لم يكن شيئًا اختصّتْ به مدرسة الخطيب القزويني، فقد طال عددًا كبيرًا من مؤلّفات البلاغيين. ولم يكن الوضوح الذي أشار إليه السبكي هو السبب الوحيد في هذا التَّرْك، فحين نراجع تاريخ دراسة هذا الباب سنجد أنَّ دراسة عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ، 474هـ) هي «البداية الحقيقية لدراسة الفصل والوصل دراسةً تفصيليّة»[68]، وأنَّ ما قبله من محاولات لا تعدو أنْ تكون إشارات أولى إلى الموضوع، ولم تبسط الحديث فيه على النّحو الذي جرى في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر. وحيث إنَّ عبد القاهر قصر دراسته لباب الفصل والوصل على الجمل دون المفردات، وكان عبد القاهر – كما هو معلوم- عميق الأثر في مَنْ بعده من البلاغيين فإنَّ معظم هؤلاء البلاغيين «رغم عدم تسليمهم بأنَّ الفصل والوصل خاصٌّ بالجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، فإنَّهم لم يتجاوزوا ما أثبته الإمام ولم يتعدّوا دائرة الجمل، فظلَّ هذا البحث بعيدًا عن دائرة المفردات»[69].

وكان الخطيب القزويني واحدًا من هؤلاء البلاغيين الذين لم يمدّوا ما وطّده عبد القاهر في مبحث الفصل والوصل «فقد أكَّد انحصار دراسة هذا الموضوع في الجمل حين نصّ في تعريفه على

أنَّ: (الوصل: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه)[70]، وهذا هو توجّه السكّاكي، ومن اقتفى أثره من أصحاب المدرسة العقليّة، ولمّا كان تلخيص القزويني للمفتاح هو قطب الرحى لكثيرٍ من المتأخرين، فقد تبعه جمعٌ من الشرّاح»[71].

وإذا كان غالب البلاغيين لم يولوا عنايةً بالفصل والوصل بين المفردات فإنَّنا لا نعدم أنْ نجد بعضًا منهم يلتفت إلى هذا الجانب كابن الزملكاني (ت651هـ) والعلوي (ت749هـ)[72]، لكنَّها بقيت محاولات فرديّة، وبقي هذا الجانب بعيدًا عن التنظير ورسم القواعد كما هو الشأن في الفصل والوصل بين الجمل.

ومع أنَّ الفصل والوصل بين المفردات لم يحظَ بعناية كافية في كتب التنظير البلاغي فإنَّه «لحسن حظِّ البلاغةَ أنَّ بعض المفسّرين من أصحاب الذوق البلاغي حاولوا سدَّ هذا النقص، فأفادت البلاغة من تطبيقاتهم ما لم تفده من القواعد والنظريّات التي احتشدت بها كتب البلاغة»[73]، ومن أوائل هؤلاء المفسّرين الذين كانت لهم عناية بدراسة الفصل والوصل بين المفردات الزمخشري (ت581هـ) «إذْ لم يقتصر في (الكشّاف) على دراسة الفصل والوصل بين الجمل، بل شملت دراسته التطبيقيّة مواضع الفصل والوصل بين المفردات»[74].

لقد ظلَّ الفصل والوصل عند الخطيب القزويني ومدرسته وعند عدد غير قليل من البلاغيين مقصورًا على الجملِ دون المفردات، وكان يمكن استثمار ما قدّمه المفسّرون على المستوى التطبيقي، وما أسهم به ابن الزملكاني والعلوي وغيرهما على المستوى النظري؛ ليحظى الفصل والوصل بين المفردات بما يستحقُّه من الدراسة والبحث. وأما القول بوضوحه فليس مسوغًا كافيًا لتركه، وذلك لما ينطوي عليه من أغراض بلاغيّة، فليست الأغراض البلاغية محصورةً على الفصل والوصل بين الجمل، بل هي كامنة في كلِّ أسلوبٍ تعبيريٍّ توخّى مطابقة ما يقتضيه الحال والمقام.

الفصل والوصل بين الجمل المركَّبة:

أشار عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ، 474هـ) إلى ضربٍ من الفصل والوصل لم تُعن به مدرسة الخطيب القزويني ولم تُشر إليه. ومن المعلوم أنَّ مدرسة الخطيب القزويني اعتمدت في حديثها في باب الفصل والوصل على ما كتبه عبد القاهر، لكن اهتمامها انحصر في حديث عبد القاهر عن الفصل والوصل بين الجملة والجملة، ولم تستثمر هذا الضرب الذي يتجاوز عطف الجملة على الجملة إلى عطف «جملة من الجمل على جملةٍ من الجمل»[75]، يقول عبد القاهر: «اعلمْ أنَّ مما يَقلُّ نظَرُ الناس فيه من أمْر (العطف) أنَّه قد يُؤْتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تُعْطَفُ على جملة بينها وبين هذه التي تُعْطَفُ جملةٌ أو جملتان...»[76].

فهذا الضرب قائمٌ على أنَّ هناك جملةً أمّ عُطفت عليها جملةٌ من الجمل، ثمَّ تأتي جملة أمّ ثانية عُطفت عليها جملةٌ من الجمل، فتعطف الواو جملة الأم الثانية وما عُطف عليها، على جملة الأمّ الأولى وما عُطف عليها. فهناك عطفٌ بين الجملتين الأمّ الرئيسيتين، والمعنى لا يستقيم «إلّا بأنْ تعطف الثانية وما تكوّنت منه على الأولى وما تكوّنت منه، ولو أنّك أغفلت هذا وعطفت الثانية على الجملة التي تسبقها مباشرةً لاختلَّ نظام المعنى، وانهدم الكلام»[77].

ومن الشواهد التي مثَّل بها عبد القاهر على هذا النوع من العطف قول المتنبّي:

تَوَلَّوا بَغْتَةً، فَكَأَنَّ بَيْنًا

تَهَيَّبَنِي، فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالا

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلًا

وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالا[78]

فجملة (فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ) ليست معطوفةً على جملة (فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالًا) التي تسبقها مباشرةً، وإنّما هي معطوفةٌ على جملة (تَوَلَّوا بَغْتَةً)؛ لأنَّ عطفها على ما يسبقها مباشرة يفسد المعنى «من

حيثُ إنه يدخل في معنى (كأَنَّ)، وذلك يؤدِّي إلى أن لا يكونَ مَسيرُ عيسهمُ حقيقةً، ويكونَ مُتَوَهَّمًا، كما كان تهيُّبُ البين كذلك»[79]. فلم يصحّ العطف على (فَفَاجَأني اغْتِيَالَا) «حتى لا يدخل في التشبيه، فيصير مَسيرُ عيسَهمُ شيئًا متوهَّمًا كتهيّب البين واغتاله، وهذا يعكسَ ذوقًا حسَّاسًا وتدقيقًا بالغًا في تتبّع حركة المعنى»[80].

ويزيد عبدُ القاهر في تفصيل هذا التعليل للعطف قائلًا: «والسببُ في ذلك أن الجملةَ المتوسِّطةَ بين هذه المعطوفة أخيرًا، وبين المعطوف عليها الأولى، ترتبط في معناها بتلك الأولى، كالذي ترى أنَّ قوله: (فَكَأَنَّ بَيْنًا تَهَيَّبَني)، مرتبطٌ بقوله: (تَوَلَّوا بَغْتَةً)، وذلك أنَّ الثانيةَ مسبَّبٌ والأولى سببٌ. ألا ترَى أنَّ المعنى: (تولوا بغتة فتوهمت أن بينًا تهيبني؟) ولا شكَّ أنَّ هذا التوهُّم كان بسبب أنْ كان التولّي بغتةً. وإذا كان كذلك، كانتْ مع الأولى كالشيءِ الواحد، وكَان منزلتُها منها منزلةَ المفعول والظرف وسائرِ ما يجيءُ بعدَ تمام الجملة من مَعْمولات الفعل، مما لا يمكنُ إفرادُه عن الجملَة، وأنْ يُعْتَدَّ كَلامًا على حِدَته»[81].

ثمَّ يوضّح عبد القاهر بناء الجمل في البيتين وتماسكهما من خلال العطف الكائن بين الجملتين الأم - (تَوَلَّوا بَغْتَةً) و(فَكَانَ مَسيرُ عيسهمُ) – وما تبع كل واحدة منهما من جمل تَضامَت معَها، وذلك من خلال التَّنبيه على أنَّه لاً ينبغي تذوّق العطف بوصفه عطف الجملة الأم الثانية على جملة الأم الأولى وحدهما، بل بوصفه عطف الجملة الأم الثانية وما تبعها من جمل على جملة الأم الأولى وما تبعها من جمل، يقول عبد القاهر: «وههنا شيءٌ آخر دقيقٌ، وهو أنَّك إذا نظرْتَ إلى قوله: (فَكَانَ مَسيرُ عيسهمُ ذَميلًا) وجدتَه لم يُعْطَف هو وحدَه على ما عُطِفَ عليه، ولكن تجدُ العطفَ قد تناول جملة البيت مربوطًا آخره بأوَّله. ألا تَرى أنَّ الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتةً، وعلى الوجه الذي توهَّم من أجله أنَّ البينَ تهيَّبه، مُستدعياً بكاءَه، وموجبًا أنْ ينهمل دمعُه، فلم يَعْنه أنْ يذكر ذَمَلان العيس إلا ليذكر هَمَلانَ الدمع، وأن يوفِّق بينهما. وكذلك الحكْم في الأوَّل، فنحن وإن كنَّا قلْنا إنَّ العطْفَ على (تَوَلَّوا بَغْتَةً)، فإنَّا لا نعني أنَّ العطف عليه وحده مقطوعًا عمَّا بعده، بل العطف عليه مَضمومًا إليه ما بَعْدَه إلى آخره، وإنَّما أردْنا بقولنا: (إنَّ العطفَ عليه)، أنْ نُعْلمك أنَّه الأصل والقاعدة، وأنَ نَصْرفَك عن أن تَطَّرحه، وتجعل العطف على ما يَلي هذا الذي تعطفه، فتَزعم أنَّ قوله: (فَكَانَ مَسيرُ عيسهمُ) معطوفٌ على (فَاجَأني)، فتقع في الخطأ كَالذي أريناك»[82].

والشاهد الآخر الذي ذكره عبدُ القاهر على هذا النوع من العطف قوله تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ»[83].

وحين نراجع الآيتين الكريمتين نجد أنَّ المعنى يقتضي أنْ يكون قوله تعالى: «وما كنتَ ثاويًا في أهل مدين...» غير معطوف على السابق له مباشرةً، بل أنْ يُعطَف وما يتبعه على قوله تعالى: «وما كنتَ بجانب الغربي...» وما يتبعه، ولو أنّك «جَرَيْتَ على الظاهر فجعَلْتَ كلَّ جملة معطوفةً على ما يَليها، منعَ منه المعنى. وذلك أنهً يلزم منه أنْ يكون قوله: «وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ»، معطوفًا على قوله: (فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ)، وذلك يقتضي دخوله في معنى (لكن)، ويصير كأنَّه قيل: «ولكنَّك ما كنت ثاويًا»، وذلك ما لا يَخْفى فسادُه. وإذا كانَ كذلك، بانَ منه أنَّه ينبغي أن يكون قد عُطفَ مجموعُ «وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» إلى «مُرْسلين»، على مجموع قوله: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ» إلى قوله: (الْعُمُر)»[84].

ويتّضح ممّا سبق أنَّ بحث الفصل والوصل اتّخذ عند عبدالقاهر مسارين؛ مسار يختص بعطف الجملة على الجملة، ومسار يختص بعطف جملة من الجمل على جملة من الجمل. واقتصرت مدرسة الخطيب القزويني في دراسة الفصل والوصل على

المسار الأوّل وتركت المسار الآخر، وبهذا الصنيع «كأنَّنا ندرس نصف الفصل والوصل»، وقد نصَّ عبد القاهر في كلام مجمل مركّز على هذين المسارين اللذين يحددانَ مجالَ البحثِ[85] في باب الفصل والوصل بقوله: «فأمر العطف إذن، موضوعٌ على أنَّك تَعْطفُ تارةً جملةً على جملة، وتَعْمِدُ أخرى إلى جُملتين أو جُمَل فتعطفُ بعضًا على بعضَ، ثم تعْطفُ مجموع هذي على مجموع تلك»[86].

ظلَّ بحث عطف جملة من الجمل على جملة من الجمل خاصًّا بعبد القاهر وغائبًا عن الدرس البلاغيّ بعده، فقد «أهمله البلاغيّون المتأخّرون»[87]، ولم يستثمروه كما استثمروا بحثه لعطف الجملة على الجملة.

حروف العطف الأخرى:

انحصرت دراسة الفصل والوصل عند الخطيب القزويني ومدرسته في (الواو)، ولم تدرس حروف العطف الأخرى متابعةً لما جاء عند عبد القاهر الجرجاني. ومردَّ ذلك إلى أنَّ الواو «وحدها من بين أدوات العطف هي التي لمطلق الجمع، أمَّا ما سواها من الحروف فيتضمَّن معنًى زائدًا على مطلق الجمع إذا تحقَّق صحَّ العطف، وإذا لم يتحقّق فلا مجال للعطف فيه، فاختصّت الواو بمزيد الحاجة إلى التلطّف في العلاقة المصحّحة للوصل بها»[88].

ولعلَّ هذا هو ما عناه السبكي بالواضح في عطف المفردات[89] - كما سبقت الإشارة - الذي كان من أسباب انصراف البلاغيين عن دراسة العطف بينها؛ لأنَّ «هذا التعلّق الخاصّ والمعنى الزائد عن مطلق الجمع نجده في الواو حين تعطف المفردات؛ لأنَّها حينئذ تشرك المعطوف في حكم المعطوف عليه، وهو معنًى زائدٌ عن مطلق الجمع إذا تحقَّق في الواو صحَّ الوصل بها»[90].

ولما لحروف العطف الأخرى من معنًى زائد كالتعقيب في (الفاء)، والتراخي في (ثمَّ)، ترك جمعٌ من البلاغيين ومنهم الخطيب القزويني ومدرسته الحديثَ عن هذه الحروف حين دوّنوا صور الفصل والوصل، واقتصرت دراستهم لهذا الباب على (الواو) دون غيرها.

وعند النظر في النصوص البيانيّة فإنَّنا نجد أنَّ الحاجة إلى استجلاء حروف العطف الأخرى من الناحية البلاغية قائمة وماسَّة، ولا يكفي فيها القول بالمعنى الزائد؛ لأنَّ هذا يفوّت على الدرس البلاغيَّ أنماطًا من التذوّق البياني جديرة بالدرس والتحليل، ولهذا نجد عند بعض البلاغيين «ممَّن جمعوا بين التأليف في علوم البلاغة وتفسير القرآن، يدوّنون في كتبهم من أصول الفن وقواعده ما يتجاوزونه، ويتسامون عنه حين تضيق أرديته عن استيعاب أسرار النظم الحكيم، حتى لنظنّ أنَّهم غير هؤلاء الذين أملوا تلك القواعد، وحبّروا تلك الأصول»[91].

إنَّ القول بالمعنى الزائد لهذين الحرفين – التعقيب في (الفاء) والتراخي في (ثم) – ليس أمرًا مستمرًّا في كلِّ مواضعهما في النصوص البيانيّة، لأنَّ تأمَّل تلك النصوص يدلّنا على أنّهما لا يلتزمان في كل المواضع بمعانيهما الوضعيّة، بل يخرجان عنها إلى معانٍ أخرى يكتسي فيها «الحرفان رداء المجاز»[92].

وممّا يمكن أنْ يُساق مثالا على خروج حرف العطف عن معناه الوضعيَّ إلى معنًى آخر، ما كشف عنه الزمخشري حين حلّل دلالة (ثمّ) في قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا»[93]، ورأى أنَّها في هذه الآيةَ الكَريمةَ لا تدلّ على (التراخي) الزمني، وإنَّما تدل على (الاستبعاد) الذي «يكون إذا كان ما بعد (ثمَّ) أمرًا مستبعد الوقوع بالنسبة لما قبلها، أو بعبارة أخرى إذا كان ما قبل (ثمَّ) من الأحداث والأفعال مُهيَّئًا لعدم حصول ما بعدها»[94]. يقول الزمخشري معلِّقًا على دلالة (ثمَّ) في الآية الكريمة: «ثم في قوله : «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» للاستبعاد. والمعنى: أنَّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدتَ مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادًا لتركه الانتهاز.

ومنه (ثمَّ) في بيت الحماسة:

وَلَا يَكْشِفُ الغَمّاء إلَّا ابْنُ حُرَّةٍ

يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا[95]

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطّلع على شدّتها»[96].

إنَّ هذا الاستبعاد الذي أدّته (ثمَّ) في الآية الكريمة «هو الذي كسى الإعراض غلالةً من القبح، وأبرز جهل المعارضين، حين خالفوا بصنيعهم موجبات العقل وسَنَن العقلاء، فأدبروا عمَّا يستوجب الإقبال»[97]. ولو قلتَ في بيت الحماسة الذي استشهد به الزمخشري: إنَّ (ثمَّ) هنا تفيد التراخي والتباعد الزمني «لكان ذلك إفسادًا للمعنى؛ لأنَّه يعني أنَّه يزور الغمرات ويخوض الحروب بعد رؤيتها بزمن متراخ، وكأنَّه متردِّدٌ في ذلك، وهذه ليست أوصافَ الشجاع الباسل، وإنَّما (ثمَّ) هنا للاستبعاد، أي الإشارة إلى أنَّ خوض الغمرات وزيارتها بعد رؤية أهوالها أمرٌ بعيدٌ إلَّا على هذه القلوب الجسورة»[98].

وبهذا يتَّضح أنَّ «إخراج (الفاء) و(ثمَّ) من الدراسة في باب الفصل والوصل، اعتمادًا على ما لهما من خصوصيّات زائدة عن مطلق الجمع، يتغاضى عن أكثر مواضعهما ثراء في ما خرجتا فيه عن معانيهما الوضعيّة»[99].

وممَّا يدلُّ أيضًا على حاجة هذين الحرفين إلى مزيد من تسليط الضوء الذي يكشف عن دلالتهما البلاغيَّة، وما يُناط بهما من أغراض في نظم البيان، النظر فيما تقارض فيه الحرفان موَاقعهما فيما يبدو شبيهًا بالموضع الواحد وذلك لمعرفة دواعي المغايرة بينهما[100]، وذلك كنحو قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا»[101] وقوله تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ»[102].

وممّا تنبغي الإشارة إليه ألا يقتصر مجال الإفساح في دراسة باب الفصل والوصل على (الفاء) و(ثمَّ)، بل يجب أنْ يشمل ذلك غيرهما من حروف العطف مثل: (أو) و(أم)، و(لكنْ) و(بل)، وهو ما يشير إليه عبد القاهر[103] بقوله: «وينظرَ في (الجُمَل) التي تُسْرَدُ، فيعرفَ موْضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرفَ فيما حقُّه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثمَّ)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكنْ) من موضع (بل)»[104]، كما يمكن أنْ يُمَدَّ هذا الاهتمام إلى بقيّة الروابط المهمّة في تماسك النص مثل: (اللام) و(كي) و(حتّى) إلى غير ذلك من الروابط.

الوقف والابتداء :

من المباحث التي تتّصل بالفصل والوصل مبحث «الوقف والابتداء» في علوم القرآن وقراءاته. ويُعرَّفُ الوقف بأنه «قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما، أو هو قطع الكلمة عمَّا بعدها»[105]، ويُعرَّف أيضًا بأنه: «قطع الصوت على آخر الكلمة زمنًا يتنفّس فيه بنيّة استئناف القراءة»[106]، فهو مبحثٌ يهتمُّ بمعرفة أنواع الوقف ومواضعها في أثناء قراءة القرآن وما يترتّب على ذلك من أداء للمعنى، قال عنه الزركشي (ت794هـ): «وهو فنٌّ جليل وبه يُعرَف كيف أداء القرآن، ويترتّب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات»[107].

ويوضّح النحّاس (ت338هـ) أهميّة الوقف في بيان المعاني وتمييزها بقوله: «فقد صار في معرفة الوقف والائتناف والتفريق بين المعاني، فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ أنْ يفهم ما يقرؤه ويشغل قلبه به، ويتفقّد القطع والائتناف، ويحرص على أنْ يُفهم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأنْ يكون وقفه عند كلام مستقرّ أو شبيه به، وأنْ يكون ابتداؤه حسنًا، ولا يقف على

مثل «إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى»[108] لأنَّ الواقفَ ها هنا قد أشركَ بين المستمعين وبين الموتى، والموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنَّما أخبر عنهم أنَّهم يبعثون. قال أبو جعفر: ومن لم يعرف الفرق بين ما وصله الله جلَّ وعزَّ في كتابه وبين ما فصله لم يحل له أنْ يتكلّم في القطع والائتناف»[109].

ومن هنا تستبين الصلة بين مبحثي (الوقف والابتداء) في علم القراءات و(الفصل والوصل) في علم البلاغة، إذْ يُعنى كلاهما بإيضاح المعاني وإيصالها إيصالًا لا لبس فيه، وما يقتضيه ذلك من عناية بمواضع ما يُوقَف عليه وما لا يُوقَف، وما يُوصَل من الكلام وما يُفصَل، وبسبب هذا الارتباط بين المبحثين رأى بعض الباحثين أنَّ مصطلح (الفصل والوصل) مصدره علم القراءات[110].

فنقطة الالتقاء بين المبحثين تتجلّى في اهتمام كلٍّ منهما بما من شأنه أن يكشف عن الصلات الكامنة بين المعاني، وكذلك إيضاح ما بينها من تمايزٍ وفروق، فطبيعة البحث بين المبحثين متقاربة وإن لم تبلغ حدّ التطابق. وهذا ما نجده على سبيل المثال بين مصطلح (الوقف اللازم) في علم القراءات ومصطلح (الفصل) في علم البلاغة، فإذا «ما كان الوقف مصطلحًا لدى علماء القراءات، والفصل مصطلحًا بلاغيًّا، فإنَّ العلاقة بينهما تتجلّى في أنَّ ما يقول فيه القرّاء بلزوم الوقف سيقول فيه البلاغيّون بالفصل، ولكن ليس كلُّ ما قال فيه البلاغيون بالفصل يقول فيه القرّاء بلزوم الوقف، ومردّ ذلك: أنَّ وجه الفصل عند البلاغيين أوسع وأبعد مدى من وجه الوقف اللازم عند القرّاء، وبهذا لا يلزم تطابقٌ في الموضع»[111].

ومع وجود هذا التقارب بين المبحثين لا نجد في مدرسة الخطيب القزويني استثمارًا واضحًا لمبحث الوقف والابتداء عند حديثها عن الفصل والوصل، وقد لا يكون هذا مقصورًا على مدرسة الخطيب، بل ربّما طال معظم المؤلفات البلاغية، ولذا يحتّم علينا ذلك أنْ نعيد الصلة بينهما على نحوٍ يسهم في بيان المعاني وكشف ما بينها من صلاتٍ أو تمييز[112].

ب – الإنشاء غير الطلبي:

اهتمّ الخطيب القزويني ومدرسته بدراسة أساليب الإنشاء الطلبي، وفصّلوا القول فيها، ولكنّهم في المقابل لم يعيروا أساليب الإنشاء غير الطلبي عنايةً، ومسوّغهم في ذلك أنَّ الإنشاء الطلبي «كثير الاعتبارات، وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنيّة ذات العطاء والتأثير...وهذا بخلاف الإنشاء الذي ليس وراءه طلب، فليست أساليبه ممّا تتوارد عليها المعاني، فالقسم هو القسم، والتعجّب كذلك، والمدح والذم، وكذلك بقيَّة الباب»[113]. فالنظر اتّجه إلى أساليب الإنشاء الطلبي لكونها تخرج إلى معانٍ أخرى غير معانيها الوضعيّة، وذلك بخلاف أساليبَ الإنشاء غير الطلبي التي رأوا أنّها لا تستعمل إلا في معانيها الوضعيّة[114].

وفي حقيقة الأمر أنَّ هذا المسوّغ ليس كافيًا لردِّ دراسة أساليب الإنشاء غير الطلبي؛ لأنَّنا نجد في أساليب الإنشاء غير الطلبي دقائق واعتبارات بلاغيّة مُستحقَّةً للدرس والبحث والتحليل، من ذلك التعجّب والقسم، إذ نجد لهما «مواقع متقنة وفاعلة في النفس فعل أقوى الأساليب وأدخلها في بحث البلاغة»[115]. فلا يحصر البحث البلاغي فيما خرج عن المعنى الوضعي، ينبغي أنْ يشمل كلَّ عنصرٍ وقع موقعًا دقيقًا في الكلام فأسهم في تحقيق المزيّة.

إنَّ القول بقلّة الاعتبارات البلاغيّة في أساليب الإنشاء غير الطلبي لا يتوافق مع ما نلقاه في نصوص البيان الرفيع «وذلك لكثرة مواقع الإنشاء غير الطلبي في الذكر الحكيم، بل إنَّ بعضها ممّا يتصدّر سور الذكر الحكيم، فقد افتتحت خمس عشرة سورة بالقسم، وما كتاب التبيان في أقسام القرآن[116] منك ببعيد، فقد فصّل ما أقسم الله – تعالى – به، وما أقسم عليه، ووقف مؤلّفه كلّه لهذا اللون. ومن المحال أنْ يحوي القرآن الكريم لونًا أو أسلوبًا عاريًا من الإيحاءات، وخاليًا من الأسرار البلاغيّة»[117].

لقد احتوت أساليب الإنشاء غير الطلبي على دقائق ولطائف بلاغيّة ما كان لها أنْ تكون بمعزلٍ عن بحث الخطيب القزويني ومدرسته، وسنحاول التّمثيل لعدد من نواحي الأهميّة لبعض تلك الأساليب، وهي : جملةً المدح والذمّ، والقسم، والتعجّب، والترجّي.

تتوارد جملة المدح والذمِّ في القرآن الكريم والنصوص البيانيّة ومع ذلك لم تنل عنايةً من الخطيب القزويني ومدرسته مع مَّا اشتملت عليه من فروق أسلوبيّة كان حريًّا بها أنْ تُدرس دراسةً بلاغيّةً تربطُها بالسياق، وتكشف عن دورها في تحقيق الغرض المراد.

من تلك الفروق تعدّد الصيغة في جملة المدح والذمِّ، فقد تأتي جملة المدح والذمّ بالصيغة الرئيسية (نعم وبئس)، وقد تأتي بصيغٍ أخرى: كـ(سَاءَ) المَلحقة ببئس، وصيغة (فَعُلَ) إذْ يقوم «مقام (نعم وبئس) ويستعمل استعمالها في الأحكام: (فَعُلَ) موضوعًا كـ(لَؤُمَ) و(ظَرُفَ)، أو محوّلًا من فَعَلَ وفَعِلَ إلى فَعُلَ : كـ(عَقُلَ) و(بَخُسَ)»[118]. ومن صيغ جملة المدح والذمِّ: (حبَّذا) و(لا حبَّذا).

ومن الفروق التي تحفل بها جملة المدح والذمِّ تعدّد صور فاعل نعم وبئس، إذْ يأتي معرّفًا بأل، ويأتي مضافًا إلى ما فيه أل، وقد يكون ضميرًا مستترًا يفسّره تمييزٌ بعده، وقد يُجمَع بين فاعلهما الظاهر والتمييز، وقد يكون كلمة (ما) يليها اسم أو فعل، وقد يكون كلمة (مَنْ) [119].

ولا شك أنَّ هذه الفروق الأسلوبيّة التي اشتملت عليها جملة المدح والذمِّ يتبعها فروقٌ في الدلالة وتأدية الأغراض المناطة بالكلام، وكان على البحث البلاغي أنْ يبحث في أسرار هذه الفروق وعلاقتها بالسياقات التي ترد فيها، إذْ إنَّ كلَّ سياقٍ يختار ما يناسبه من تلك الصور المتعدِّدة طبقًا لمَا يحقّق متطلّبات المقام ومقتضاه.

إذا نحّينا ما ذُكر في باب أحوال الإسناد الخبري من حديث حول القَسم بوصفه أحد مؤكّدات الخبر في ضربيه الطلبي والإنكاري فإنَّنا لا نظفر لدى الخطيب القزويني ومدرسته بحديث مفصّل عن القَسم، بل حتى ما جاء في أحوال الإسناد الخبري لم يكن حديثًا صريحًا، بل يُفهم منه ضمنًا أنَّ القَسم مما يؤكد به الخبر.

فالقَسم هو أحد أساليب تأكيد الكلام، وقد تردّد وروده في القرآن الكريم وفي كلام البلغاء من الناس. وتعدّ جملة القَسم في القرآن الكريم مجالًا ثريًّا للتحليل التطبيقي البلاغي، ويمكن أنْ يتمّ ذلك عبر «تتبّع عناصر القسم وتحديدها، وخصوصية اختيار كل منها في الموقع الذي ورد فيه القسم، وعلاقاتها بالمقسم عليه، والمقسم له، ومقام القسم، ثم صلتها بالسياق الخاصّ للآيات التي ورد فيها القسم، وبالسياق العام للسورة التي هو فيها، وصلة بعض الظواهر اللغويّة في القسم بغيرها في السياق القرآني كله، وصلة مواضع القسم بعضها ببعض»[120]. ويمكن اتّباع نهج قريبٍ من هذا النهج في دراسة القَسم في الشعر معَ تحويرٍ يلائم طبيعة الشعر.

وممّا ينبغي أنْ يلتفت إليه النظر البلاغي في القسم التنوّع الأسلوبي الذي حفلت به جملة القسم، كالنظر في نوع جملة القسم أاسميَّة هي أم فعليّة؟[121] وما علاقة ذلك بالغرض والسياق؟. وكذلك النظر في المقسم به الذي يتنوّع ويتعدد تبعًا للأغراض التي يرومها القَسم، ثمَّ البحث عن العلاقة التي تربط المقسم به بالمقسم عليه؛ لأنَّ «المتفحّص للعلاقة بين تلك الأنواع من القسم والمقسم عليه لا يعدم مناسبةً ما بينهما، وهي مناسبة قد تظهر وتلوح، وقد تختفي وتدق حتى يصعب الوصول إليها. وإدراك تلك العلاقة لبّ دراسة القَسم، فمن الغريب أنْ يكون القسم من باب والمقسَم عليه من باب آخر في الكلام المنقّح المحتشَد له، فضلا عن البيان العربي الذي شُهد له بقوّة البيان وإحكام العبارة المفضية للمعنى المراد بكلّ طاقاتها»[122].

وكذلك دراسة حروف القَسم وتنوّعها، وأشهرها: الباء، والواو، والتاء، وعلاقة كلّ حرف بالسياق الذي يأتي فيه، فكل سياقٍ يستدعي ما يُلائمه من تلك

الحروف ويكون أحقّ بتأدية الغرض، وأتمّ للدلالة المرادة. ويجب أنْ يشمل التحليل البلاغي لهذه الحروف ما اختصَّ به كلّ حرف من سمات تركيبية، كاختصاص الباء بظهور فعل القسم معهًا بخلاف الواو والتاء اللتين لا يظهر معهما. ومن سمات الباء أنّها تدخل على كلّ مقسم به ظاهر ومضمر، وأمَّا الواو فإنها لا تدخل إلا علىً مقسم به ظاهر ولا تدخل على مضمر، وأما التاء فإنها لا تدخل إلا على لفظ الجلالة. وقد تحذف حروف القسم ويُعوّض عنها بحروف أخرى، وقد يكون الحذف دون تعويض، إلى غير ذلك من السمات[123].

إنَّ هذه السمات التركيبيّة التي حواها أسلوب القَسم يجب أنْ تكون محطَّ عناية التحليل البلاغي الذي يتعيّن عليه الربط بين هذه السمات وما يناط بها من دلالات وأغراض، إذ إنَّ كلّ تركيب يؤدّي غرضًا خاصًّا لًا يؤدّيه تركيبٌ آخر وإنْ تشابه معه في تأدية الغرض العامّ.

والتعجُّب أحد أساليب الإنشاء غير الطلبي، وكغيره من أساليب الإنشاء غير الطلبي لم يأخذ نصيبًا من العناية لدى الخطيب القزويني ومدرسته. ومن المعلوم أنَّ للتعجُّب صيغتين رئيسيّتين هما: (ما أَفْعَلَه) و(أَفْعِل به)، وترد الصيغتان في البيان العالي، وكان على الدرس البلاغي البحث عن دلالة كلّ صيغة وما يناسبها من سياق، فهما وإنْ اشتركتا في الدلالة على التعجُّب فإنَّ على البحث البلاغي أنْ ينظر في طريقة دلالة كلّ واحدة منهما على التعجُّب وما اختصّت به من خصوصيّةً دلاليّة لا تتضمّنها الأخرى، فالاشتراك في الدلالة العامَّة لًا ينفي أنَّ لكلّ صيغة موقعًا وسياقًا يناسبها.

وقد أدلى فاضل السامرّائي بدلوه في بيان الفرق بين دلالة الصيغتين فقال: «والذي يبدو أنَّ هذه الصيغة – يقصد (أَفْعِل به) – أمرٌ بالمشاركة في التعجّب، فالفرق بين قولك (ما أحسن محمّدًا) و(أحسن بمحمّد) أنَّ الأولى تعجُّبٌ انفراديّ يقوله المرء متعجِّبًا من حسن محمّد، وأمَّا (أحسِن بمحمّد) فهو دعوة إلى التعجُّب من حسن محمّد، فأنت تدعو غيرك ليشاركك في هذا التعجُّب»[124].

وممَّا يجب أنْ تشمله الدراسة البلاغيّة للتعجّب البحث عن دلالة (كان) التي تُزاد بين (ما) التعجُّبيّة[125] وفعل التعجُّب، فالنحاة يذكرون أنَّه يُؤتى بها للدلالة على أنَّ التعجُّب كان في الزمن الماضي، يقول سيبويه(180هـ) «وتقول: (ما كان أحسن زيدًا) فتذكر (كان) لتدلّ أنّه فيما مضى»[126]، ولكن على التحليل البلاغي بيان أثر ذلك في المعنى، وكيف أنَّ الإيغال في الزمن الماضي يوحي برسوخ الصفة المتعجّب منها، وأنَّها غدت سجيّةً وطَبْعًا لازمًا لصاحبها.

ولا يُقتصر الأمر على الصيغتين القياسيّتين للتعجُّب، بل يجب أنْ تمتدَّ العناية أيضًا إلى الصيغ غير القياسيّة، وهي كثيرةٌ ومتنوّعة[127]، ولا شك أنَّ لكلّ صيغة من هذه الصيغ دلالتها الخاصة التي يتوجّب على البحث البلاغي بيانها وبيان أثرها في السياق الذي ترد فيه.

ولم يكن الترجّي بأحسن حظًّا من غيره من أساليب الإنشاء غير الطلبي في عدم العناية به من قبل الخطيب القزويني ومدرسته، وذلك مع ثراء هذا الأسلوب، وما يحويه من فروق دقيقة مع أحد أساليب الإنشاء الطلبي وهو (التمنّي).

فإذا كان التمنّي هو «طلب المحبوب الذي لا طمع فيه، بأنْ يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول»[128] فإن الترجي «ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله»[129]، مع ملاحظة أنْ يكون هذا الشيء المرتقب ممكنًا. وبما أنَّ الترجّي قائمٌ على الترقّب لا الطلب أخرج من الإنشاء الطلبي وأُدرج ضمن أساليب الإنشاء غير الطلبي، وفي هذا السياق يقول التفتازاني(ت 792هـ) : «ويدخل في الارتقاب: الطمع والإشفاق، فالطمع ارتقاب المحبوب نحو: (لعلّك تعطينا)، والإشفاق ارتقاب المكروه نحو: (لعلّي أموت الساعة)، وبهذا ظهر أنَّ الترجّي ليس بطلب»[130].

وأداتا الترجي هما (لعلَّ) و(عسى)، وكان حقُّ

الأداتين أنْ تنالا ما تستحقانه من بحث بلاغيٍّ يقف بنا على خصوصية كلّ أداة، ويكشف عمّا بينهما من فروق دلاليّة وسياقيّة، إذ لكلّ أداة مقامٌ هي أولى به من الأخرى، ولا يتمُّ ذلك إلا عبر تتبّع مواقعهما في النصوص البيانيّة، وتأمّل ما يحفّ بكلّ أداةٍ من سياقات، وما تنهض به في أثنائها من دلالات.

وذكر العلماء عدة فروق بين الأداتين، وتتبّع إبراهيم الهدهد هذه الفروق في كلام العلماء، وحاول حصرها، فذكر منها: أنَّ (لعلَّ) تستعمل في المتوقّع فيه و(عسى) في المطموع فيه، وأنَّ (عسى) للرجاء والطمع سواء كان توقّع الحصول عن قريب أوبعيد أما (لعلَّ) فقد ذكروا أنَّه لا دنوّ فيها اتّفاقاً، وأنَّ (عسى) تقع في الرجاء كثيرًا وفي الإشفاق قليلاً وأمّا (لعلَّ) فهي طمعٌ وإشفاق[131].

وممّا يجب أنْ تشمله الدراسة البلاغيّة لأداتي الترجّي «الحديث عن تنوّع متعلّقاتهما واختلاف السياقات والمقامات»[132]، فهذا من شأنه أنْ يجلّي ثراء أسلوب الترجّي، وكيف يتكرّر ورود الأداة الواحدة في السياقات المتعددة وتجيء مع ذلك ملبّيةً حاجة كلّ مقام وغرض، فالنظر البلاغي لا يعزل الأداة عن متعلّقها وسياقها، بل يشمل الجميع بفحصه متتبّعًا وفاء الأداة بالأغراض المتعدّدة تبعًا لما يَعْلَقُ بها من متعلّقات، ويحيط بها من سياقات.

ومن أهمّ ما يجب أنْ تتابعه الدراسة البلاغيّة في الترجّي هو خروجه إلى معانٍ مجازيّة، كخروج (لعلَّ) في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»[133] إلى «إبراز المتيقّن في صورة المشكوك فيه حثًّا على عدم الاتّكال»[134]، وكخروج (عسى) في قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»[135]» من الدلالة على ترجّي القائل إلى إحداث الشكّ في المستمع»[136]، إلى غير ذلك من المعاني المجازية التي تخرج إليها أداتا الترجّي.

يضاف إلى كلِّ ما سبق حول أساليب الإنشاء غير الطلبي أنْ نأخذ بعين الحسبان الخلاف حول تصنيف بعض هذه الأساليب بين الخبر والإنشاء، وإعادة هذا التصنيف بما يتلاءم والغرض المراد.

ج – الجمل الأسلوبيَّة:

تركت مدرسة الخطيب القزويني العناية بعدد من الجمل الأسلوبيّة، فبقيت سمات هذه الجمل وماً تختصّ به من طرائق تركيبيّة بعيدةً عن التحليل البلاغي.

ولا شكَّ أنَّه ما منْ صورة تعبيريّة إلا وهي تحمل ما يسوّغ استخدامهاَ في المقامَ البيانيَّ الذي ترد فيه، فكان واجبًا ألا تبقى هذه الجمل الأسلوبية بمنأى عن الدرس البلاغي، بل كان ينبغي الكشف عن كلِّ جملة، وبيان ما تمتاز به من خصائص تجعلها مطابقةً لمقامَ دون مقام، ولائقةً بسياق دون سياق. وسنمثّل فيما يأتي بعددٍ من هذه الجمل التي ظلت غائبة عن تناول الخطيب ومدرسته.

إذا استثنينا ما جاء في مبحث تقديم المسند إليه من حديث عن تقديمه إذا ولي حرف النفي مع الخبر الفعلي فإنَّنا لا نظفر لدى الخطيب القزويني ومدرسته بأيّ حديث يتعلّق بجملة النفي ودلالاتها البلاغية. ومن المعلومَ أنَّ النفي في العربيّة يتأتّى بعدة أدوات وهي: (لا، ولات، وليس، وما، وإنْ، ولم، ولمّا، ولن)، فكان من الواجب دراسة هذا التنوّع لأدوات النفي دراسةً بلاغيّةً تكشف عن أثره في السياق، وما ينجم عنه من أغراض. صحيح أنَّ النحاة درسوا هذه الأدوات والأزمنة المرتبطة بها وما يتعلّق بها من دلالات، ولكن كان على البلاغيين أنْ يمدُّوا هذه الدراسة – كما مدّوا غيرها من مباحث – إلى أفق الدرس البلاغي الذي يُعنى بمطابقة كلِّ أداة للمقام الذي تحلُّ فيه، فلا يوجد ما يسوّغ لترك هذا الأسلوب من أساليب العربيّة الذي شاع في نصوص البيان الرفيع.

وممَّا يتعلّق بجملة النفي النظرُ في المنفيّ، أعمدةٌ هو أم قيد؟ وما يتّصل بذلك من أغراض بلاغيّة،

لأنَّ نفي العمدة يختلف عن نفي القيد، فلكلٍّ منهما دلالات تتناسب مع الغرض المساق له الكلام. والعمدة في الكلام يختلف في ذاته، فمنه ما هو اسم، ومنه ما هو فعل، ولا شك أنَّ نفي الاسم يغاير نفي الفعل. وكذلك يختلف القيد في ذاته ويتنوّع، ما بين مفعول وحال وصفة وغير ذلك من القيود، فنفي كلّ قيد من هذه القيود له دلالته في الكلام التي تستوجب الكشف عن ملاءمته للسياق الذي يأتي فيه.

ومن الجمل الأسلوبيّة التي لم تجد عنايةً كافيةً من مدرسة الخطيب القزويني الجملة الشرطيّة، فعدا الحديث عن تقييد المسند بـ (إنْ، وإذا، ولو) لا نلفي حديثًا لدى المدرسة عن بقيّة أدوات الشرط، سواءً ما كان منها حرفًا مثل: (لولا، ولوما، ولمَّا، وإذ ما...)، أو ما كان اسمًا مثل: (أيّ، ومَنْ، وما، مهما، ومتى، وأيّان، وأنَّى...). فلا شك أنَّ لكلٍّ أداة استعمالها الخاصّ الذي يقتضيه المقام، ولا مسوّغَ لحصر البحث البلاغي في الأدوات الثلاثة - إنْ، وإذا، ولو -، فكما أنَّ الجملة الشرطيّة تكتسي دلالةً ما مع كلِّ أداة من هذه الأدوات الثلاثة فهي كذلك مع بقيّة الأدوات، إذ إنَّ كلَّ مقام يفرض ما يناسبه من خصوصيّة تعبيريّة، فلا يحسنُ أنْ يظلَّ شيءٌ من هذه الأدوات تحت النظر البلاغي وآخر خارجه، بل يجب أنْ يستوعب النظر البلاغي كلَّ تلك الخصوصيات التي تتنوّع بحسب تنوّع الأحوال والمقامات.

ويجب أيضًا أنْ يمتدَّ البحث البلاغي في الجملة الشرطيّة إلى جزئَي هذه الجملة؛ أي الشرط والجواب، والبحث عمّا يتعلّق بدلالة ذكرهما معًا، وكذلك ما يتعلّق بحذف أحدهما، وما ينتجه ذلك من دلالات.

وممّا يستدعيه البحث في الجملة الشرطيّة النظر في جملة الجواب، إذ تجيء حينًا مجردةً من (الفاء) و(إذا)، وتجيء حينًا مقترنةً بأحدهما، أو بهما معًا، ولا بدَّ أن لكلٍّ واحد من هذه الأحوال الأسلوبية لجملة الجواب ما يسوّغه المقام، فكان الأحرى بالبحث البلاغي لدى مدرسة الخطيب القزويني دراسة كلِّ هذه السمات الأسلوبية وربطها بالسياق والغرض الذي أمَّه الكلام.

ولم تحظَ جملة أسلوب الاختصاص بعناية من الخطيب القزويني ومدرسته، وذلك مع التميّز التركيبي لهذه الجملة. ويشتمل الاسم المختص على صور متنوّعة، إذْ يجيء تارةً معرّفًا بأل، وتارةً معرّفًا بالإضافة، وتارةً علمًا وإنْ كان قليلًا، وتارةً يكون كلمة (أي) المتلوّة بهاء التنبيه[137]. وكان حقُّ هذا التميّز التركيبي لهذا الأسلوب وما اشتمل عليه من تنوّع أنْ ينال وقفةً من الخطيب القزويني ومدرسته تكشف عن أثره في السياق.

وممَّا يُضاف إلى الجمل الأسلوبيّة التي لم تُدرس من قِبَل الخطيب القزويني ومدرسته جملة أسلوب التحذير والإغراء. ويرد التحذير على عدّة ضروب[138]، فقد يكون بذكر المحذر مع المحذر منه، وقد يكون بذكر المحذر منه مكرّرًا، أو غير مكرّر[139]. وأمّا الإغراء فيرد على ضربين[140]، فإمّا أنْ يكون بتكرار الاسم المُغْرى به، وإمّا أن يكون بالعطف عليه[141]. إنَّ أسلوب التحذير والإغراء بما يحمله من تنبيه نحو التَّرْك أو الفعل، وبما يحويه من صور متعدّدة جديرٌ بأنْ يلفت البلاغيين إلى دوره في السياق، وكيف تتضامّ جملته مع غيرها من الجمل نحو تأدية الغرض المراد.

المبحث الثالث : مستوى بناء الصورة :

انحصرت مباحث الصورة البيانيّة عند الخطيب القزويني ومدرسته في علم البيان في التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية، من وجود صور أخرى خالية من كلِّ ذلك. قد يُقال إن وصْف تراكيب هذه اللغةً كاف، ومع إيماننا بأنَّ بيان القيمة التصويريّة غير منفصل عن اللغة التي جاءت فيها فإنَّه لا يجب الاكتفاء بالوصف التركيبي اللغوي، بل يجب بيان التصوير ودقّة رسمه، وأن تأخذ القيمة التصويريّة للصور الخالية من أساليب التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية حقّها من البيان، فلا يجب أن نحصر الوقوف عند الصور التشبيهيّة

والمجازيّة والكنائيّة، بل يجب أنْ يشمل ذلك كلّ ما من شأنه أنْ يرسم صورةً معبّرة، ومن ثَمَّ البحث عن مصطلح يعبّر عن ذلك كـ(الوصف) أو غيره. وسنحاول في الآتي أنْ نضرب أمثلةً لتلك الصور.

يقول امرؤ القيس في معلّقته:

وَبَيضَةِ خِدْرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا

تَمَتَّعتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ

عَلَيَّ حِرَاصٍ لَو يُشِرّونَ مَقْتَلِي[142]

حين ننظر في صورة اللهو التي يصوّرها امرؤ القيس في البيت الأوّل نجده لهوًا ينبئ عن اقتدار صاحبه، وأنَّه ينال ما ينال من المرأة دون خوف أو وجل، فهو لا يعجل في ذلك، بل تحيط به السكينة والهدوء، وقد عزّز قوّة هذا الاقتدار ما جاء في الشطر الأوّل حين عبّر عن هذه المرأة بأنَّها ممّا لا يقع في النفس مجرّد التفكير في الاقتراب من خبائها، فضلًا عن نيل شيءٍ منها، وذلك لقوّة بأس قومها، وشدة حفاظهم على نسائهم، ومع ذلك فإنَّ الشاعر لا يعجل في نيل ما ينال منها «ولا معنى لهذا إلا حديثه عن عزّه، وشرفه، واقتداره، وأنَّه لا يخاف، وأنَّ التي يُرامُ خباؤها تراه عندها ممتّعًا بها وهو رابط الجأش، ساكن القلب، غير خائف، ولا فزع، وهذا شيء ليس من الصبوة في شيء، وإنَّما هو حديث ملك عن قدرته، وتمكّنه، وبأسه، وأنَّه ينال الممنوع المصون»[143].

وإمعانًا في تصوير صيانة هذه المرأة زاد امرؤ القيس في البيت الثاني في بيان منعة قومها وتحوّطهم، وذلك عبر صورة مهيبة فحواها أحراسٌ من البشر، وأهوالٌ منهم، فهم ليسوا واحدا أو اثنين، بل جمعٌ من أصحاب الشكيمة القويّة الحريصين على قتله الذين يبذلون أنفسهم من أجل الحفاظ على أعراضهم.

إنَّ صورة ذلك اللهو، وما تنمّ فيه عن شجاعة الشاعر، وما أبانته من وصفٍ معنويٍّ دقيقٍ لهدوء نفسه، وقوّة اقتدارها على نيل ما تريد، وكذلك صورة ما يحيط بالمرأة من أحراس البشر وأهوالهم، كلّ هاتين الصورتين تمّتا بلغةٍ خاليةٍ من التشبيه والمجاز والكناية.

يقول الشاعر :

قَالَ لِيْ: كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ: عَلِيلُ

سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيْلُ

اقتصر تناول الخطيب القزويني ومدرسته لهذا البيت على الجانب التركيبي، إذ جاء عندهم ضمن شواهد حذف المسند إليه[144]. والبيت يفيض بصورة بالغة من أسى الشاعر، وقد تكوّنت هذه الصورةً من ثلاثة أشياء: مرضه، وسهره المتواصل، وحزنه الطويل، ووجود واحدٍ من الثلاثة كفيلٌ بإحداث الألم، فكيف وقد تضامّت مجتمعةً في آنٍ واحد، فأيّ أسًى هذا الذي مُني به الشاعر، وأيّ تَكالُبٍ من المنغّصات الموجعة أحاطت به، فلا يكاد يشغل التفكير في المرض حتى يداهمه السهاد والأرق، وهو سهادٌ لا يقتصر على صحبة المرض الجسديّ بل يقرن ذلك بمرض النفس وحزنها الطويل، فلا الجسد برئ من التعب، ولا النفس ارتاحت من الهمّ.

إنَّ صورة هذا الأسى الذي صوّره الشاعر تمّت أيضًا بلغةٍ لم تستعن فيها لا بتشبيهٍ ولا مجازٍ ولا كناية.

قال عروة بن حزام :

مَتَى تَكْشِفَا عَنِّي القَمِيصَ تَبَيَّنَا

بِيَ الضُّرَّ مِنْ عَفْرَاء يَا فَتَيَانِ

وَتَعْتَرِفا لَحْمًا قَلِيْلًا وَأَعْظُمًا

دِقَاقًا وَقَلْبًا دَائِمَ الخَفَقَانِ

عَلَى كَبِدِي مِنْ حُبِّ عَفْرَاءَ قَرْحَةٌ

وَعَيْنَايَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا تَكِفَانِ[145]

يصوّر الشاعر في هذه الأبيات الضرَّ الذي أصابه جرّاء حبِّه عفراء، وبدأ ذلك بإشارةٍ عامّةٍ إليه وأنَّه

مخبوءٌ خلف القميص، ولا يحتاج إدراكه إلى شيء سوى أنْ يُزال القميص، فما إنْ يزال القميص إلاّ ويتبيّن للرائي هذا الضرّ، فما بينه وبين إدراك هذا الضرّ إلا نظرةٌ لما خلف القميص.

ثم بدأ الشاعر بتفصيل هذا الضرّ وذلك عبر عدّة اشياء، أوّلها تصوير نحول جسده، وتكوّنت هذه الصورة من أمرين هما: قلّة لحم الجسد، ودقّة عظامه، ولا شكّ أنَّ هذا الوصف الحسّي لصورة هذا الجسد الهزيل المتيبّس إنّما هو تعبيرٌ عمَّا يعانيه الشاعر من عذابات عشقه عفراء، وغرامه بها، وهو ما سيوغل في تأكيده في الصور الآتية.

تلاحقت الصور الآتية في تأكيد وجده بعفراء، واضطرام جذوة الحب في نفسه، وذلك من خلال إشارته إلى ثلاثة أعضاء الشكوى من واحد منها دليلٌ على حرارة العاطفة، ولهيب الشوق في نفس العاشق، وهي القلب الذي لا يهدأ خفقانه، والكبد المتقرّحة، والعينان اللتان تسيلان دموعًا.

إنَّ تصوير نحول الجسد، والأعضاء الثلاثة، أسهم كلّ ذلك في رسم صورة كبرى هي هيام الشاعر بمحبوبته، ووقوعه أسيرًا مكبّلًا لهذا الحب، وتمَّ كلّ ذلك دون تشبيهٍ أو مجازٍ أو كناية.

أبرز نتائج الدراسة:

سعتْ هذه الدراسة إلى رصد بعض ما غاب من نواح بلاغيّة عن الخطيب القزويني ومدرسته، مع التمثّيل لبعض منها، وفيما يلي عرضٌ لأبرز ما توصّلت إليه الدراسة من نتائج:

1- درس الخطيب القزويني ومدرسته عددًا من نواحي البلاغة الصوتيّة في البيان العربيّ، وجاء ذلك في علميّ المعاني والبديع، وإنْ كان ذلك في علم البديع أظهر وأوفر، ومع ذلك لم يلتفت الخطيب القزويني ومدرسته إلى نواح صوتية أخرى لها أهميّتها في بلاغة الكلام، ومَثّل هذا البحث لعددٍ من تلك النواحي: كتكرار الحرف إذ اقتصرت دراسة الخطيب القزويني على تكرار الكلمة والجملة، وكنوع آخر من الجناس خارج عن الالتزام بالطريقة التي حدّدها الخطيبُ القزويني ومدرسته الكامنة في جعْل الاتّفاق بين الكلمتين المتجانستين في العناصر الأربعة – أنواع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها- جناسًا تامًّا، والاختلاف في واحد منها جناسًا غير تامّ ممّا أخرج صورًا أخرى لِلجناس لم تلتزم بهذه الحدود في التصنيف لها أثرٌ في تنغيم الكلام لا يخفى. ومن النواحي الصوتيّة التي لم تأخذ حظًّا من عناية الخطيب القزويني ومدرسته بلاغة المدود، وبلاغة الصيغ.

2- تجلّت دراسة الخطيب القزويني ومدرسته للمستوى التركيبي لبلاغة الكلام أكثر ما تجلّت في علم المعاني، وحين مراجعة ما درسه الخطيب القزويني ومدرسته نجد أنّهم تركوا جوانب تركيبيّة لها تأثيرها في صوغ الكلام وبلاغته، حاول هذا البحث التمثيل لعددٍ منها.

ففي مبحث الفصل والوصل اقتصرت دراسة الخطيب القزويني ومدرسته على الفصل والوصل بالواو بين الجمل التي لا لها محُّل من الإعراب. وقاد هذا إلى عدم العناية بالفصل والوصل بين المفردات والجمل التي لها محلٌّ من الإعراب الواقعة موقع المفرد، وإلى عدم تخطّي حدود الجملتين إلى ما أسماه هذا البحث بالجمل المركّبة، وإلى عدم الالتفات إلى الفصل والوصل الذي يكون بحروف العطف الأخرى غير الواو (كالفاء) و(ثمّ). وكذلك لم يلتفت الخطيب القزويني ومدرسته إلى الوقف والابتداء في القرآن الكريم مع أنّه وثيق الصلة بالفصل والوصل، إذ يُعنى كلاهما بإيضاح المعاني وإيصالها إيصالًا لا لبس فيه، وما يقتضيه ذلك من عناية بمواضع ما يُوقَف عليه وما لا يُوقَف، وما يُوصَل من الكلام وما يُفصَل.

وأمّا في مبحث الإنشاء فقد انحصرت دراسة الخطيب القزويني ومدرسته على أساليب الإنشاء الطلبي، ولم تدرس أساليب الإنشاء غير الطلبي مع

أنّها تحوي دقائق واعتبارات بلاغيّة مُستحقَّةً للدرس والبحث والتحليل، من هذه الأساليب: جملة المدح والذم، والقسم، والتعجُّب، والترجّي.

كذلك تركت مدرسة الخطيب القزويني العناية بعدد من الجمل الأسلوبيّة، فبقيت سمات هذه الجمل وما تختصّ به من طرائق تركيبيّة بعيدةً عن الدراسة البلاغيّة، من هذه الجمل: جملة النفي، والجملة الشرطيّة، وجملة أسلوب الاختصاص، وجملة أسلوب التحذير والإغراء.

3 – اقتصرت مباحث الصورة البيانيّة عند الخطيب القزويني ومدرسته على التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية، ولم تدرس عددًا آخر من الصور التي خلت من ذلك، مع أنّها حفلت بقيمة تصويريّة كان حقّها ألا تظلّ بعيدةً عن الدراسة البلاغيّة، فحَصْرُ القيمة التصويريّة على أساليب معيّنة فيه تضييقٌ لرحابة الصورة ومدى اتّساعها لأنماطٍ أخرى من التعبير.

الهوامش :

1. تعدّ دراسة عز الدين علي السيّد المعنونة بـ: «التكرير بين المثير والتأثير» من أهمّ الدراسات المعاصرة التي عرضت لتكرار الحرف وصوره، ولتكرار الكلمة والجملة، وعوّلنا في عرضنا لعددٍ من صور تكرار الحرف على ما جاء فيها.

ينظر: عز الدين علي السيّد، التكرير بين المثير والتأثير، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1986م، ص16 وما بعدها.

2. سورة مريم : 79 .
3. سورة مريم : 82 .
4. سورة مريم : 89 .
5. ابن الرومي، الديوان، تحقيق: حسين نصّار، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ط3، 1424هـ/2003م، 804/2 .
6. سورة الكهف : 11 .
7. سورة النحل : 69 .
8. أبو الطيّب المتنبّي، الديوان، حقّق النصوص وهذّبها وعلّق حواشيها وقدّم لها: عمر فاروق الطبّاع، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 344/2 .
9. عز الدين علي السيّد، التكرير بين المثير والتأثير، ص17 .
10. سورة يس : 14 .
11. سورة التوبة : 109 .
12. ابن الرومي، الديوان، 56/1 .
13. سورة الواقعة : 23 .
14. سورة البقرة : 179 .
15. عز الدين علي السيّد، التكرير بين المثير والتأثير، ص30 .
16. سورة الأعراف : 20 .
17. سورة التكوير : 17 .
18. الفرزدق، الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا حاوي، بيروت: دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة، ط1، 1983م، 121/2 .
19. عز الدين علي السيّد، التكرير بين المثير والتأثير، ص45 .
20. سورة هود : 48 .

21. الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1331هـ/1913م، 2/263.

22. علي بن عيسى الرمّاني، النكت في إعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، حقّقها وعلّق عليها: محمّد خلف الله – محمّد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ط4، ص 95 .

23. تنسب هذه الأبيات لأبي حية النميري، و كذلك تنسب لنصيب بن رباح. ينظر: – أبو حية النميري، الديوان، جمعه وحققه: يحيى الجبوري، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1975م، ص172، 173 . وينظر: نصيب بن رباح، شعره، جمع وتقديم: داود سلوم، بغداد: مطبعة الإرشاد، 1967م، ص125.

24. ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح «ضمن البغية لعبدالمتعال الصعيديّ»، القاهرة: مكتبة الآداب، 1417هـ/1997م، 4/66 .

25. محمّد محمّد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1418هـ/1998م، ص116.

26. سورة الواقعة : 32 – 33 .

27. سورة عبس : 26 – 28 .

28. سورة التكوير : 5 .

29. القاضي محمّد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير أبي السعود»، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وضبط نصّه ووضع فهارسه: الشيخ محمّد صبحي حسن حلّاق، بيروت: دار الفكر، ط1، 1421هـ/2001م، 6/264 .

30. المصدر نفسه، 6/483 .

31. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، اعتنى به تحقيقًا ومقابلة: عبدالرحمن بن معلّا اللويحق، قدّم له: عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل – محمّد الصالح العثيمين، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط1، 1423هـ/2002م، ص912 .

32. أبو تمام، الديوان، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف، ط5، 1/207 .

33. محمّد محمّد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، ص116 .

34. البحتري، الديوان، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، القاهرة: دار المعارف، 2/1152.

35. خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتيّة في القرآن الكريم، إربد: عالم الكتب الحديث، 2006م، ط1، ص111 .

36. سورة يس : 30 .

37. سورة الإسراء : 20 .

38. محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، القاهرة: الرسالة، ط1، 1409هـ/1988م، ص68.

39. سورة النازعات : 34 .

40. أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ/1994م، (طمم).

41. القاضي محمّد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير أبي السعود»، 475/6 .

42. محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 90/30 .

43. خالد قاسم بني دومي، دلالات الظاهرة الصوتيّة في القرآن الكريم، 118 .

44. النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط3، ص14.

45. النابغة الذبياني، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1430هـ/2009م، ص76 .

46. محمّد محمّد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1419هـ/1998م، ص336.

47. النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق وشرح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص69 .

48. يُنظر: المصدر نفسه، ص69 .

49. محمّد محمّد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، ص338 .

50. المصدر نفسه، ص338 .

51. النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق وشرح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص14 .

52. عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1422هـ/2001م، ص5 .

53 فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، عمَّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/2005م، ص5، 6 .

54. المصدر نفسه، ص6 .

55. المصدر نفسه، ص6 .

56. الكتاب لهاشم طه شلاش، ولم يتيسّر لنا حتى الآن الاطّلاع عليه، وأفدنا هذه المعلومة من هذا الكتاب عبر ما نقله عنه عزالدين السيّد كما يتّضح في الهامش الآتي.

57. عز الدين علي السيّد، التكرير بين المثير والتأثير، ص69 .

58. عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص221 .

59. المصدر نفسه، ص221 .

60. المصدر نفسه، ص222 .

61. فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص41، 42 .

62. ينظر : المصدر نفسه، ص42 .

63. سورة هود : 12 .

64. جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد الموجود – الشيخ: علي محمّد معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م، 186/3 .

65. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصحّحه: محمد حسين عرب، بيروت: دار الفكر، 28/12 .

66. محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 16/12 .

67. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح «ضمن شروح التلخيص»، بيروت: دار الكتب العلمية، 113/3 .

68. محمّد بن علي الصامل، قضيّة الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيّين، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/2007م، ص17 .

69. محمّد الأمين الخضري، الواو ومواقعها في النظم القرآني، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1436هـ/2015م، ص49.

70. الخطيب القزويني، الإيضاح «ضمن البغية لعبدالمتعال الصعيديّ»، 55/2 .

71. محمّد بن علي الصامل، قضيّة الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيّين، ص21 .

72. للوقوف على جهود ابن الزملكاني والعلوي في هذا الشأن يُراجع الآتي:

- كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: خديجة الحديثي – أحمد مطلوب، بغداد: مطبعة العاني، ط1، 1394ه/1974م، ص260 وما بعدها.
- حيى بن حمزة بن علي ين إبراهيم العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، صيدا – بيروت: المكتبة العصريّة، 1429هـ/2008م، 20/2 وما بعدها.
- محمّد بن علي الصامل، قضيّة الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيّين، ص25 وما بعدها.
- محمّد الأمين الخضري، الواو ومواقعها في النظم القرآني، ص50 وما بعدها.

73. محمّد الأمين الخضري، الواو ومواقعها في النظم القرآني، ص51، 52 .

74. محمّد بن علي الصامل، قضيّة الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيّين، ص25 .

75. محمَّد محمَّد أبو موسى، دلالات التراكيب، القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1429هـ/2008م، ص337.

76. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط3، 1413هـ/1992م، ص244 .

77. محمَّد محمَّد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص335 .

78. أبو الطيب المتنبّي، الديوان، 240/2 .
79. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص244 .
80. محمّد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ/2010، ص330 .
81. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص244 .
82. المصدر نفسه، ص245 .
83. سورة القصص: 44، 45 .
84. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص247 .
85. يُنظر: محمَّد محمَّد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص337 .
86. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص245 .
87. محمّد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، ص333 .
88. محمّد الأمين الخضري، الواو ومواقعها في النظم القرآني، ص26 .
89. يُنظر: بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 113/3 .
90. محمّد الأمين الخضري، الواو ومواقعها في النظم القرآني، ص27 .
91. محمّد الأمين الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم «الفاء وثمَّ»، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1427هـ/2007م، ص13 .
92. المصدر نفسه، ص19 .
93. سورة السجدة: 22 .
94. محمّد محمّد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ/1988م، ص290 .
95. يُروى في الحماسة لجعفر بن علبة الحارثي. ينظر: أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين – عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ/1991م، 49/1.
96. جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشّاف، 37/5، 38 .
97. محمّد الأمين الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم «الفاء وثمَّ»، ص162 .
98. محمّد محمّد أبو موسى، التصوير البياني، القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1413هـ/1993م، ص28 .
99. محمّد الأمين الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم «الفاء وثمَّ»، ص22 .
100. يُنظر: المصدر نفسه، ص20 .
101. سورة الكهف: 45 .

102. سورة الحديد: 20 .

103. يُنظر: محمّد الأمين الخضري، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم «الفاء وثمَّ»، ص10 .

104. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص82 .

105. أحمد بن محمّد بن عبدالكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1393هـ/1973م، ص8 .

106. محمد أحمد معبد، الملخّص المفيد في علم التجويد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ص101.

107. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ/1957م، 342/1 .

108. سورة الأنعام : ٣٦ .

109. أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل النحّاس، القطع والائتناف، تحقيق: عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي، الرياض: عالم الكتب، ط1، 1413هـ/1992م، ص20، 21 .

110. ينظر : منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب، الإسكندريّة: منشأة المعارف، ط2، 1997م، ص16.

111. إسماعيل صادق عبدالرحيم إسماعيل، الوقف اللازم في القرآن الكريم مواضعه وأسراره البلاغية، القاهرة: دار البصائر، ط1، 1429هـ/2008م، ص522 .

112. كنَّا نودّ أن نضرب أمثلةً تطبيقيَّةً على تحليل (الوقف والابتداء) تحليلًا بلاغيًّا، وعدلنا عن ذلك، إذ إنَّ فيما كتبه إسماعيل صادق عبدالرحيم إسماعيل في كتابيه غنية عن ذلك. ينظر: - المصدر نفسه. وينظر: إسماعيل صادق عبدالرحيم إسماعيل، الوقف الممنوع في القرآن الكريم مواضعه وأسراره البلاغية، القاهرة: دار البصائر، ط1، 1430هـ/2009م.

113. محمَّد محمَّد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص197 .

114. ينظر: بسيوني عبدالفتَّاح فيود، علم المعاني دراسة بلاغيّة ونقديّة لمسائل المعاني، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3، 1432هـ/2011م، ص354 .

115. محمَّد محمَّد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص197 .

116. لابن قيّم الجوزيّة.

117. إبراهيم صلاح الهدهد، في بلاغة القرآن ولغة العرب، القاهرة: المكتبة الأزهريّة للتراث، ط1، 1433هـ/2013م، ص62، 63 .

118. خلود صالح عثمان الصالح، أساليب نحويّة جرت مجرى المثل دراسة تركيبيّة دلاليّة، مكّة المكرّمة: معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى، ط1، 1426هـ، ص37 .

119. أمثلة هذه الصور للفاعل على الترتيب: نعم الطالب سعيدٌ، نعم طالب العلم سعيدٌ، نعم طالبًا سعيدٌ، نعم الطالبُ مجدًا سعيدٌ، نعم ما تطلبُ العلمُ، نعم مَنْ تطلب العلم.

120. علي بن محمّد بن عبدالمحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغيّة، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا العربيّة، كليّة اللغة العربيّة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرَّمة، 1411هـ/1991م، ص (هـ).

121. ينظر : المصدر نفسه، ص23 .

122. سعيد بن طيب بن سحيم المطري، الإنشاء ومواقعه في شعر هذيل، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربيّة، كليّة اللغة العربيّة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرَّمة، 1424 – 1425هـ، ص 418 .

123. ينظر : علي بن محمّد بن عبدالمحسن الحارثي، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغيّة، ص29 – 33.

124. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، عمَّان: دار الفكر، ط3، 1429هـ/2008م، 4/246 .

125. نحو : (ما كان أصدق خالدًا).

126. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر «سيبويه»، الكتاب، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 1425هـ/2004، 1/73 .

127. نحو: (سبحان الله الصدق منجاة، لله دَرّه أديبًا، يا للهول، مررتُ بفارسٍ أيَّ فارسٍ...).

128. عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، 2/28 .

129. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط2، 1428هـ/2007م، ص408 .

130. المصدر نفسه، ص408 .

131. يُنظر تفصيل هذه الفروق في: إبراهيم صلاح الهدهد، في بلاغة القرآن ولغة العرب، ص68 – 69.

132. المصدر نفسه، ص138 .

133. سورة البقرة : 21 .

134. إبراهيم صلاح الهدهد، في بلاغة القرآن ولغة العرب، ص82 .

135. سورة البقرة : 216.

136. إبراهيم صلاح الهدهد، في بلاغة القرآن ولغة العرب، ص123 .

137. أمثلة هذه الصور للاسم المختصّ على الترتيب: نحن الطلابَ مجتهدون، نحن طلابَ العلم نجتهد في تحصيله، أنا زيدًا أطلبُ العلم، أنا أيُّها الرجل شجاعٌ.

138. ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، 2/89 .

139. أمثلة ضروب التحذير على الترتيب: إيّاك والكذبَ، الكذبَ الكذبَ فإنَّه من مساوئ الأخلاق، الكذبَ فإنَّه من مساوئ الأخلاق.

140. ينظر: خلود صالح عثمان الصالح، أساليب نحويّة جرت مجرى المثل، ص348 .

141. أمثلة ضَرْبي الإغراء على الترتيب : الصدقَ الصدقَ، الصدقَ والحلمَ.

142. امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط4، ص13 .

143. محمّد محمّد أبو موسى، الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1429هـ/2008م، ص62 .

144. شاهد حذف المسند إليه قوله: (عليل) والتقدير: أنا عليل. وقوله: (سهرٌ دائم) والتقدير: حالي سهرٌ دائم.

- عروة بن حزام، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: أنطوان محسن القوّال، بيروت: دار الجيل، ط1، 1436هـ/1995م، ص36 .

المصادر والمراجع:

- إسماعيل، إسماعيل صادق عبدالرحيم، الوقف اللازم في القرآن الكريم مواضعه وأسراره البلاغية، القاهرة: دار البصائر، ط1، 1429هـ/2008م.
- الوقف الممنوع في القرآن الكريم مواضعه وأسراره البلاغية، القاهرة: دار البصائر، ط1، 1430هـ/2009م.
- الأشموني، أحمد بن محمّد بن عبدالكريم، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1393هـ/1973م.
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصحّحه: محمد حسين عرب، بيروت: دار الفكر.
- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط4.
- البحتري، الديوان، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، القاهرة: دار المعارف.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط2، 1428هـ/2007م.
- أبو تمّام، الديوان، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف، ط5.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط3، 1413هـ/1992م.
- الحارثي، علي بن محمّد بن عبدالمحسن، أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغيّة، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا العربيّة، كليّة اللغة العربيّة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرَّمة، 1411هـ/1991م.
- ابن حزام، عروة، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: أنطوان محسن القوّال، بيروت: دار الجيل، ط1، 1436هـ/1995م.
- الخضري، محمّد الأمين، من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم «الفاء وثمَّ»، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1427هـ/2007م.

- الواو ومواقعها في النظم القرآني، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1436هـ/2015م.
- الخطيب القزويني، الإيضاح «ضمن البغية لعبد المتعال الصعيديّ»، القاهرة: مكتبة الآداب، 1417هـ/1997م.
- بني دومي، خالد قاسم، دلالات الظاهرة الصوتيّة في القرآن الكريم، إربد: عالم الكتب الحديث، ط1، 2006م.
- ابن رباح، نصيب، شعره، جمع وتقديم: داود سلوم، بغداد: مطبعة الإرشاد، 1967م.
- الرمّاني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، حقّقها وعلّق عليها: محمّد خلف الله – محمّد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ط4.
- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العبّاس بن جريح، الديوان، تحقيق: حسين نصّار، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ط3، 1424هـ/2003م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ/1957م.
- الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد الموجود – الشيخ: علي محمّد معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، عمَّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ/2005م.
- معاني النحو، عمَّان: دار الفكر، ط3، 1429هـ/2008م.
- السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح «ضمن شروح التلخيص»، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، اعتنى به تحقيقًا ومقابلة: عبدالرحمن بن معلّا اللويحق، قدّم له: عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل – محمّد الصالح العثيمين، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط1، 1423هـ/2002م.
- أبو السعود، القاضي محمّد بن محمّد بن مصطفى العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير أبي السعود»، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وضبط نصّه ووضع فهارسه: الشيخ محمّد صبحي حسن حلّاق، بيروت: دار الفكر، ط1، 1421هـ/2001م.
- سلطان، منير، الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب، الإسكندريّة: منشأة المعارف، ط2، 1997م.
- السيّد، عز الدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، بيروت: عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1986م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط4، 1425هـ/2004.
- شادي، محمد إبراهيم، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، القاهرة: الرسالة، ط1، 1409هـ/1988م.

- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ/2010.
- الصالح، خلود صالح عثمان، أساليب نحويّة جرت مجرى المثل دراسة تركيبيّة دلاليّة، مكّة المكرّمة: معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى، ط1، 1426هـ.
- الصامل، محمّد بن علي، قضيّة الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيّين، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/2007م.
- ابن عاشور، محمّد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي ين إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، صيدا – بيروت: المكتبة العصريّة، 1429هـ/2008م.
- الفرزدق، الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا حاوي، بيروت: دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة، ط1، 1983م.
- فيود، بسيوني عبدالفتّاح، علم المعاني دراسة بلاغيّة ونقديّة لمسائل المعاني، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3، 1432هـ/2011م.
- القلقشندي، الشيخ أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1331هـ/1913م.
- المتنبّي، أبو الطيّب، الديوان، حقّق النصوص وهذّبها وعلّق حواشيها وقدّم لها: عمر فاروق الطبّاع، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين – عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ/1991م.
- المطرفي، سعيد بن طيب بن سحيم، الإنشاء ومواقعه في شعر هذيل، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربيّة، كليّة اللغة العربيّة، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرَّمة، 1424 – 1425هـ.
- معبد، محمد أحمد، الملخّص المفيد في علم التجويد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ/1994م.
- أبو موسى، محمّد محمّد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ/1988م.
- التصوير البياني، القاهرة: مكتبة وهبة، ط3، 1413هـ/1993م.
- دلالات التراكيب، القاهرة: مكتبة وهبة، ط4، 1429هـ/2008م.
- الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1429هـ/2008م.
- قراءة في الأدب القديم، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1419هـ/1998م.
- مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1418هـ/1998م.

- النابغة الذبياني، الديوان، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1430هـ/2009م.
- الديوان، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط3.
- النحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل، القطع والائتناف، تحقيق: عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي، الرياض: عالم الكتب، ط1، 1413هـ/1992م.
- النميري، أبو حية، الديوان، جمعه وحققه: يحيى الجبوري، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1975م.
- الهدهد، إبراهيم صلاح، في بلاغة القرآن ولغة العرب، القاهرة: المكتبة الأزهريّة للتراث، ط1، 1433هـ/2013م.
- هنداوي، عبدالحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1422هـ/2001م.